بَـوْحُ الذَّاكِرَة

مـواقف تربوية
أحداث اجتماعية

الجزء الثاني

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشيان

مكتبة العبيكان

بوح الذاكرة

«الجزء الثاني»

تأليف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

الآن منتجاتنا أونلاين

سوق

احدى شركات amazon

يمكنكم الآن الحصول على جميع منتجاتنا من الكتب والقرطاسية في أي مكان في المملكة

العبيكان للتعليم Obeikan Education

obeikanpub
obeikan.reader
obeikanstores

العبيكان للنشر Obeikan Publishing

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان، عبدالعزيز بن عبدالرحمن

بوح الذاكرة – الرياض.

٢٦٠ص، ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٥٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

١- التعليم السعودي أ- العنوان

ديوي ٣٧٠,٩٥٣١ ١٩/١١٠٣

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٩/١١٠٣

١-٥٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

مكتبة العبيكان
Obeikan
Bookstore

للنشر العبيكان
Obeikan
Publishing

كتابك واصل لعندك

نون noon

سوق
احدى شركات amazon

كتبنا معك بكل مكان

Google Play

amazonkindle

للإستماع لكتبنا الصوتية

دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

Kitab Sawti
www.kitabsawti.com

روَى ابنُ عبدِ ربِّه في
كتابه (العِقد الفَريد) أنَّه قيلَ
للعتَّابيِّ: هَل تعلمُ أحداً لا عيبَ فيه؟
قالَ: إنَّ الذي لا عيبَ فيه لا يموتُ أبداً.
ولا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسنةِ العامَّةِ.
وقالَ العتابيُّ: مَن قَرضَ شعراً أو وضعَ
كتاباً فقَد استهدفَ للخصُوم، واستشرفَ
للألسُن، إلاّ عندَ مَن نظرَ فيه بعَين
العَدل، وحكمَ بغَير الهَوَى،
وقليلٌ مَّا هُم.

كان أحدُ النُّسَّاكِ

يَدعُو فيقولُ:

«اللهمَّ صُنْ وجوهَنا باليسار، ولا تبتذلْها بالإقتار، فنسترزقَ أهلَ رزقِك، ونسألَ شرارَ خَلقك، فَنُبْتَلَى بحَمد مَن أعطَى، وذَمِّ مَن منعَ، وأنت من دُونهما وليُّ الإعْطَاء، وبيَدك خزائنُ الأرضِ والسَّماء يا ذَا الجلال والإكرامِ».

المقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ. وبعد:

فهذا هُو الجزءُ الثانِي من كتابِ بوحِ الذاكرةِ. وقَد جاءتْ موضُوعاتُه متنوِّعةً في مادَّتِها، مختلفةً في تواريخِها، وكما قلتُ في الجزءِ الأوَّلِ من أنَّها وردتْ في ثنايا الكتابِ كحاطبِ ليلٍ. فلم ألتزمْ بتسلسلٍ تاريخيٍّ، ولَم أتقيَّدْ بترتيبٍ موضوعيٍّ.

وحين بدأتُ في الكتابةِ توالتْ الخواطرُ، وتتابعتِ الذكرياتُ، وصارتِ الأحداثُ

شاخصةً أمامِي، ماثلةً في ذاكرتِي.

ألا ما أجملَ الذاكرةَ! إنَّها نعمةٌ من اللهِ وسرٌّ من أسرارِ النفسِ البشريةِ! فكمْ تعودُ بكَ لسنواتٍ طويلةٍ، وتُذكِّرُكَ بأحداثٍ جميلةٍ، فيها العبرةُ والعظةُ، ومنها الدروسُ والخبرةُ!

والمواقفُ التي وردت في هذا الجُزءِ، وسابقِه، وما سيتلُوه من أجزاءٍ ـ إنْ شاء اللهُ ـ تُصوِّر واقعاً تعليمياً عايشتُه، وتعرِضُ لجوانبَ تربويةٍ كُنتُ طرفاً في أغلبِها، إنَّها تعرضُ صورةَ التعليمِ، وتعكسُ معاناةَ المسؤولِ، وتُصوِّرُ طموحَ القائمينَ على شؤونِ التربيةِ في بلادِنا

الغاليةِ، وتحكِي واقعَ الاستثمارِ الأمثلِ.

وإنِّي أذكُرُ ما قلتُه في مقدِّمة الجُزء الأوَّل لهذا الكتابِ (بَوْح الذَّاكِرَة) مِن أنَّ تجاربَ المتقدِّمينَ مرآةٌ للمتأخِّرينَ.

وأرجُو أن يستفيدَ القارئُ ـ وبخاصة رجالُ التعليمِ ـ من هذه الذكرياتِ؛ فالصورةُ تتكرَّرُ، والأحداثُ تتوالى. يقولُ الجاحظُ في رسائله:

إنَّ اللهَ لَم يُعلِّم الناسَ ليكونُوا عالمين دونَ أن يكونُوا عاملينَ، بل علَّمَهم ليعمَلُوا، وبيَّنَ لَهم ليتَّقُوا التَّورُّطَ في وسطِ الخوفِ، والوقوعَ في المضارِّ، والتوسُّطَ في المهالِكِ[1].

(١) رسائل الجاحظ ١/ ٥.

هذا ولقد عملتُ على ربطِ المواقفِ ما أمكنَ بما فِي تراثِنا من أمثالٍ سائرةٍ، وأبياتٍ مناسبةٍ، وحكمٍ بالغةٍ.

يقولُ محمَّدُ بنُ سلامٍ الجُمَحِي عن ابنِ جُعْدَبة، قالَ: ما أبرمَ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضِيَ اللهُ عنه ـ أمراً قطُّ إلا تمثَّلَ فيه ببيتِ شعرٍ.

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنه: كفاكَ من علمِ الأدبِ أن تروِيَ الشاهدَ والمثلَ.

وأختمُ هذهِ المقدمةَ بقولِ ابنِ قُتَيبَةَ: زكاةُ المالِ الصدقةُ، وزكاةُ الشرفِ التواضُعُ، وزكاةُ الجاهِ

بذْلُه، وزكاةُ العلمِ نشرُه، وخيرُ العُلومِ أنفعُها، وأنفعهُا أحمدُها مغبَّةً، وأحمدُها مغبَّةً ما تُعلِّمَ وعُلِّم للهِ، وأريدَ بهِ وجهَ اللهِ[١].

أسألُ اللهَ أنْ يجعلَ عملَنا خالِصاً لوجهِه.. هذَا وباللهِ التوفيقُ.

المؤلف

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

الرياض١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/ ٤١.

١- تربية أمير

رأَى مـالكُ بن دِينار رحــمـه اللهُ ـ وهو مِن كرامِ التـابِعين ـ رجلاً يُسيءُ صـلاتَه، فقـالَ: ما أرحمَنـي لعيالِه! فـقيلَ له: يُسيءُ هـذا صَلاتَه، وترحمُ عــيـالَه؟! قـالَ: إنَّـه كـبـيــرُهم، ومنه يتعلَّمون.

وصـدقَ مالكٌ؛ فـالكبـيرُ قـدوةٌ، يتـعلمُ منه أبناؤُه الشيءَ الكثيرَ، وهُو المربِّي الأولُ، يُحـاكِيه أكبادُه، ويقلدُه صغارُه.

وسِـيَرُ الأعـلامِ جديرٌ بنا روايتُـها، وأخـلاقُ الكبارِ حـرِيٌّ بنا معرفتُـها. فهذا سيِّـدٌ من رموزِ

وطنِنا الغالي كان لي موقفٌ مع واحدٍ من أبنائه، أبَت الذاكرةُ إلا أن تبوحَ بذلكَ المشهدِ، والقلمُ إلا أن يُدوِّنَ ذلكَ الموقفَ، ويسجِّلَ ذلكَ النموذجَ الفريدَ من التَّربيةِ.

ففي ذَاتَ يوم اتَّصلَ بي مَعالي الدُّكتورِ الخويطر، ووجَّهَني أنْ أتَّصلَ بصاحبِ السُّمُوِّ الملكيِّ الأميرِ فهد بن سلمان؛ لأبحثَ معه موضوعاً يتعلَّقُ بإحدى المدارسِ في مدينةِ الرياضِ. ووجَّهَني معاليه بأنْ أقفَ شَخصياً على الموقفِ، وأن أتَّفقَ مع الأميرِ على ما فيه مصلحةُ الطرَفَينِ.

وجرى الاتصالُ بسمو الأمير وأبلغَني

باتِّفاقه معَ مـعاليه. وحدَّدتُ معَـه موعداً للزيارةِ وذهبتُ مـعَ لجنةٍ شكَّلَتْـهـا الوزارةُ لننـظرَ في الأمرِ.

وكان الأمرُ يتـعلَّقُ بفِناءِ تلكَ المدرَسة، حيثُ كان مُـتداخلاً معَ منـزلِ سموِّه، ويرغبُ سـموُّه تعويضَ المـدرسةِ بفِناءٍ أكبـرَ، وأرضٍ أوسعَ مع الجهةِ الأخرَى، وأنْ نسمحَ له باقتطاعِ هذا الجزءِ الصَّـغيرِ، وسـوفَ يقومُ كـذلك بتسـويةِ الموقعِ، وهدمِ السـورِ، وإعادةِ بنائِه، وجـمـيعِ التكاليفِ اللازمةِ.

وزرتُ سـمـوَّه، ورغبَ أن أقَف مـعـه على الموقعِ مـن أعلى السطوحِ. وصـعِـدنَا الـسلمَ

المؤدِّيَ إلى الدَّور العلويَّ، وكان سُلَّماً ضَيِّقاً مُعْوَجّاً، يُطأطئُ صاعدُه الرأسَ بقوة، ويحني ظهرَه بغلظةٍ، ويكادُ صاعدُه أن يمشيَ على يدَيْه وركبتَيه.

وفي أثناء صعودنا وانحنائنا أحسَّ الأميرُ بالمعاناة، وابتسمَ الابُنَ البارُّ، وقالَ: هل تعلمُ أنَّ والدِي صعدَ هذا السُّلَّمَ الصعبَ المرتَقَى؟!

قلتُ: ولماذَا ألجأتَه لذلك؟!

قال: هذا طلبُه.

قلتُ: ولماذا طلبَ ذلك؟!

قال: لأنَّه يوجدُ بيني وبينَ المدرسةِ طريقٌ

ضيقٌ نهايتُه مغلقَةٌ من جهةِ المدرسةِ، ولا يستفيدُ منه لا الجارُ ولا عابرُ الطريقِ.

قلتُ: وما علاقةُ هذا الطريقِ بصعودِ الوالدِ حفظَه اللهُ؟!

قال: إنَّ هذا الطريقَ الملتويَ يحجزُ بينَ بيتي وبينَ الفِناء الذي أرغبُ في ضَمِّه إلى منزلي، ولا بدَّ من ضمِّ هذا الطريقِ. وحين عرضتُ الأمرَ على الوالدِ رغبَ أنْ يتأكَّدَ بنَفسِه من حقيقةِ الأمرِ، وأنَّه إذَا تمَّ ضمُّ هذا الطريقِ فلا ضررَ على أيِّ مجاورٍ، ولا أذى على أيِّ ساكنٍ.

قلتُ: أعظِمْ بهِ أباً! وأكـرِمْ به سَيِّداً! وهَنيـئاً لكَ وللوطنِ بهذا العَظيمِ في أقـوالِه، الكَبيرِ في أفـعـالِه، الذي يريدُ أن يـكونَ هُو وأبناؤُه قـدوةً حـسنةً، وأُسـوةً مـعـتـبَـرةً، ويأبَى إلا الوقـوفَ بنفسِه! إنَّه بذلكَ يُربِّي ويُعلِّمُ، إنَّه يُقـرِّرُ منهجاً، ويؤصِّلُ خُـلقـاً، إنَّه يُـلقِّنُ أبنـاءَه دُروسـاً في العَـدل، والرِّفق، إنَّ أفـعالَه الـعظيمـةَ، وأقـوالَه مؤثرةٌ، إنَّه مدرسةٌ للمربِّينَ، وعلمٌ للمقتدينَ، إنَّه يعرضُ صُـوَراً من عدلِ أمـراءِ الإسلامِ الأوائلِ مع أبنائِهِم.

إنَّه صاحبُ السُّموِّ الملـكيِّ الأميرُ سلمانُ بنُ

عبدِ العزيزِ، أميـرِ منطقةِ الرياضِ مع ابنِه فهدِ بنِ سلمانَ.

ألاَ بُورِكَتْ تلكُمُ السَّـجـايَا! وسَـمَت تلكُمُ المزايَا!

العبيكان للاستثمار
Investment Group

إحدى شركات

العبيكان للنشر
Publishing

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار هداد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon
نون

٢- إجابة الوزير

الإعلامُ له محاسنُه، وفيه مساوئُه، ويختلفُ البشرُ والمسؤولون في التعامُل مع الإعلامِ، فمِنهُم منْ يهوى الشُّهرة، وعلى اتِّصال بالقنواتِ الإعلاميةِ، وآخَرُ خلافَ ذلك يخشَى الإعلامَ، ويتهرَّبُ من وسائلِه، وثالثٌ وسطٌ بينَ هذا وذاكَ.

وكثيراً ما أحرجَ الإعلامُ بعضَ المسؤولينَ، وجعلَهم في مواقفَ صعبةٍ، وكأنِّي بالمجتمَعِ يُردِّدُ قول الشاعرِ:

قَد قِيل ما قِيل إنْ صِدْقاً وإنْ كذِبا

فمَا اعتذارُك مِن قَولٍ إذا قِيلا

إنَّها الكلمةُ، ما أخطرَها! ولهذا قالت العربُ في أمثالِها: رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحبِها: دَعْني. حيثُ ضربُوه في النَّهي عن الإكثارِ من القول، وذكرُوا أنَّ ملكاً من مُلوكِ حِمْيَر خرجَ مُتصيِّداً ومعه نديمٌ له كانَ يُقرِّبه ويُكرمُه، فأشرفَ على صخرةٍ ملساءَ ووقفَ عليها، فقالَ له النديمُ: لو أنَّ إنساناً ذُبِحَ على هذهِ الصخرةِ إلى أينَ كان يبلغُ دمُه؟

فقال الملكُ: اذْبَحُوه عليها ليُرَى دمُه أينَ يبلغُ. فذُبحَ عليها، فقالَ المَلِكُ: رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحبِها: دَعْنِي[1].

(١) مجمع الأمثال للميداني (١٦٣٥).

وقال أكثمُ بنُ صيفي ـ وهُو من حكماءِ العربِ: مقتلُ الرجلِ بينَ فكَّيْه[١].

لكنَّ البلاءَ إذا قُوِّلْتَ ما لم تقُلْه، أو حُوِّرَ كلامُك وتصريحُك.

وأذكرُ أنَّني حضرتُ مرةً حفلاً أقامَه معهدُ العاصمة النموذجيُّ بمناسبةِ انتهاءِ النشاطِ المدرسيِّ لعَامِ ١٤٠٣هـ.

وبعد الحفلِ طرحَ أحدُ المعلِّمينَ عدداً من الأسئلة، ووضعَ أمامي جهازَ التَّسجيل، وأجبتُه عَن السؤالِ الأول والثَّاني. وكانَ هذا المعلمُ يتابعُ النشاطَ التعليميَّ، وينشرُ عدداً من الأخبارِ والتعليقاتِ في جريدةِ الجزيرةِ.

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سَهل العَسْكري (١٨٢٧).

واســـتـــرسلَ ذلـكَ المعلمُ الـكريمُ (ع.ش) وكانت تجربَتي الإعلاميـةُ حديثةً؛ ولهذا أطنَبتُ في الإجابةِ وتمادَيتُ في الحـديثِ مع ذلكَ المعلِّمِ الصـحفيِّ، حـيثُ سـألَ عن المعلِّمينَ، والحاجـةِ إلى المَزيدِ منهُم، ورغبَ في معـرفةِ رأيِي في أَنْ يتولَّى تدريـسَ المرحلةِ الأوليةِ النسـاءُ لوَفرتِهن، ولأنَّ الطلابَ في هذه المرحلةِ لا زالُوا صـغاراً، وشـأنُهم كـرياضِ الأطفـالِ التِي يقـومُ علَيـهـا النساءُ.

وقـال ذلكَ المـعلمُ الصـحـفـيُّ: إنَّ حـديثَ رسول الله ﷺ بالتفـريقِ بينَ الأبناءِ في المَضاجعِ إذَا بلغُوا سنَّ العـاشرةِ، وإن الطلابَ في المرحلةِ

الأوليــة أعــمــارُهم بينَ ستٍّ وتـسعِ سنواتٍ، والرأي هُو أنْ تُعلمَ المرأةُ هؤلاءِ الأطفالَ.

وأجـبتُـه بأنَّ نظامَنا التَّـعليـميَّ في المملكة له تميُّـزُه وخــصـوصـيَّـتُـه، وأنَّ المرأةَ فـي المملكة محـفوظةٌ كرامـتُها، مصـانةٌ حقوقُـها، وأنَّ على الرجلِ القوامـةَ، وللمرأة مجـالاتُ تخصُّصِـها، وأنَّ موضـوعَ تدريسِ الصفـوفِ الدنيا مـن قِبَلِ المرأة حــوله آراء ووجـهـات نـظر مـتــعـددة. فالطلابُ في هذه المرحلةِ لا زالُوا صِغاراً.

ولكنـي أرى أنه قــد يكون من المـناسبِ أن نُعدلَ في السلمِ التعلـيميِّ، بحيثُ نُطورُ رياضَ الأطفالِ، ونجـعلُها أربعَ سنواتٍ، مـا بينَ الرابعةِ

إلى الثامنة، وتكونُ من مسؤوليـة الرئاسة العامة لتعليمِ البنات، ونُعدلَ المـرحلةَ الابتدائيةَ لتكونَ أربعَ سنوات، وتتولَّـى وزارةُ المعارف مسـؤوليةَ الذكور، والرئاسةُ العامةُ لتعليمِ البنات مسؤوليةَ الإناث، فـقَـد يكـونُ في ذلكَ تطويرٌ وتجـديدٌ واستيعابٌ للقُـوَى العاملة، وتركيزٌ علَى القراءة والكتـابة، وحـفظ الـقـرآن الكريم، ومـبـادئ الحـساب في مـرحلة رياض الأطفـال، ثُم يَبـدأُ الطلابُ في المرحلة الابتدائية وقد عرَفُوا القراءةَ والكتابةَ، وبعضَ المهارات الأساسية.

وقام ذلك الصـحفيُّ باختـزال هذا الحديث، وكـتـبَ عُنواناً بخطٍّ عـريضٍ: إنَّ مـديـرَ عـامَّ

التــعليمِ بـالرياضِ فــلاناً يَرَى أن تقــومَ المرأةُ بتدريسِ المرحلـة الأولية، ولَم يتعـرَّضْ لموضوعِ تطويرِ رياضِ الأَطـفـالِ، ومـراجـعَـةِ الـهـيكلِ التعليميِّ.

وعلى الفورِ وردتْني اتصالاتٌ هاتفـيةٌ تعيبُ وتنتـقــدُ. وتناولَ أحـدُ خطبـاء المسـاجـد هذا الموضوعَ في خطبـته ،وخوَّفَنـي بالله، وتساءلَ: كيـفَ يَجرؤُ مـسؤولٌ كبـيرٌ في وزارةِ المـعارفِ بقولِ ذلك؟!

ولهــذَا قلـتُ: يا ويلَنـا من الإعــلامِ، ويا حسرتَنا من ناقِلي الأخبارِ.

هُم حمَّلُونِي مَا لَم أَفُهْ بِه

ومَا آفَةُ الأخبارِ إلاَّ رُوَاتُها

هذا هُو الإعلامُ! لـه مخاطرُه، وفـيه عـيوبُه، ولَه مـحـاسنُه. ولكنْ تعـلَّمتُ من ذلكَ الدرسِ أشياءَ كثيرةً.

وفي يومٍ من الأيـامِ دخلتُ مكتبَ مــعــالي وزيرِ المعارف الدكتورِ محمدِ بنِ أحمدَ الرشيدِ، وإذا بهِ يُطالعُ تقـريراً منسوباً إلَيـه، نُشرَ بـإحدَى الجـرائد المحليَّة، وسلَّمني الجـريدةَ، وقرأتُ مَـا نُسِبَ لَمَعَـاليـه، وهالني مـا رأيتُ، وهُو أنَّ وزيرَ المعارفِ يرَى أنَّ الفاشلينَ في الدِّرَاسـة يتفوَّقونَ على غَيرِهِم، وأنَّ الاختبارَاتِ لا قيمةَ لَها.

وعـجـبتُ من الأمـرِ، ونظرتُ لمعـالِيـه نظرةَ

استغرابٍ وسؤالٍ! وقالَ: هَل تُصدقُ ما نُشرَ.

قلتُ: لا أصدقُ أنَّ هذَا قولُك.

قالَ: ولكنْ سيعجبُ ويتساءلُ القُرَّاءُ والمُتلَقُّون لهذا الخبر، وسيقولُونَ هذا رأيُ وزيرِ المعارفِ، وهذا قولُ المسؤولِ عن التعليمِ.

وحرَّكَ معاليه الهاتفَ، وخاطبَ رئيسَ تحريرِ تلكَ الجريدة، وأنكرَ ذلك الخبرَ، وتعجَّبَ كيفَ يُقَوَّلُ ما لم يقُلْه؟! وكيفَ يُنسَبُ إليه ما لا يعتقدُه.

واتفقَ مع رئيسِ تحرير تلكَ الجريدة على تصحيحِ ما نُشرَ في اليَوم التَّالي، وأنْ يكونَ بالخطِّ العريضِ، وفي المكانِ نفسِه الذِي نُشرَ فيهِ الخبرُ.

وفهمتُ أنَّ معاليَه تحدثَ مع أحد الصحفيِّين عن الاختبارات، وأنَّها ليستْ ميزانَ ذَهَب، ولا معادلات رياضيات تكون نتائجُها حتميّةٌ، وإنَّما هي وسائلُ تقويمٍ يتفاوتُ المعلِّمونَ في صياغتها والتمكُّنِ من وضعها، ويترتَّبُ على ذلك نتائجُها، فيتقدَّمُ طالبٌ على آخرَ أجدرَ منهُ، أو العكسُ، كما ذكرَ معاليه أنَّ بعضَ الطلابِ أخفقُوا في الاختبارات، ومعَ ذلكَ برزُوا في الحياةِ واشتهرُوا كمخترِعِ الكهرباءِ.

وبترَ ذلكَ الصحفيُّ الخبرَ، وحوَّرَ فيهِ وشوَّهَه، ونشرَه بتلكَ الصياغةِ الخاطئةِ.

وأتذكَّرُ أنَّ معالي وزيرِ المعارفِ السابقِ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر حضرَ

حفلاً مسرحياً لإدارةِ التعليمِ في عامِ ١٤٠٥هـ.

وعلى العادةِ بعد انتهاءِ الحفلِ يحضرُ مندوبُو بعضِ الصحفِ، ومعهم أجهزةُ التسجيلِ، وحاصروا معالي الوزيرِ، وشرَعُوا في إلقاءِ الأسئلةِ عليه. وأجابَ عن الأسئلةِ الواحدَ تلوَ الآخَرِ، حتَّى طرحَ أحدُ الصحفيِّينَ عليه سؤالاً يقتَضي الجوابَ علَيه أنْ يكونَ بنعَم أو لا. وفي كلتا الحالتين لا يحسُنُ تناوُلُ الموضوعِ المسؤولِ عنه عبرَ الإعلامِ، فما كلُّ أمرٍ يصلُحُ للنشرِ، وليسَ كلُّ مَا يُعلَم يُقالُ.

ولهذا شدَّ الأمرُ انتباهِي وتساءلتُ كيفَ سيتخلصُ معالِيه؟! وهل سيُجيبُ أم ماذا سيفعلُ؟!

وبكلِّ هدوء جمعَ أناملَ كفِّ يده اليُمنَى، ثُم وضعَ إصبعَه السبابةَ فوقَ أنفه، وأشارَ للسائلِ أن اسكتْ، وأبعدَ بيده الأخرَى جهازَ التسجيلِ، ثُم مشَى نحوَ سيارته.

إنَّها حركةٌ ذكيةٌ، صرفَ السائلَ وجهازَ تسجيله، وأفهمَه بعدمِ الإجابةِ بنعمْ أو لا.

لقَد كانَ معاليه مدرسةً تعلَّمتُ منهاَ أشياءَ كثيرةً.

٣- الشريفة

أهي فتاةٌ، أم هي غزالٌ؟!

إنَّ في المَيْدان صوراً عجيبةً، ولدَى بعض المعلِّمينَ آراءً غريبةً، ويحصلُ من المدارسِ حالاتٌ محيرةٌ.

ولا غروَ؛ فعددُ العاملينَ في وزارة المعارف أكثرُ من مِائتَيْ ألْف مُوظَّف؛ منهم مِائةٌ وخمسونَ ألفاً يشغلونَ اللوائحَ التعليميةَ، ولا يُستغرَبُ حصولُ بعضِ الأمورِ النادرةِ.

وإيرَادي بعضَ الصورِ الغريبةِ التي علقَتْ بالذِّهن، وحوَتْها الذَّاكرةُ؛ لكَي يعلمَ القارئُ إن

كـان معلمـاً خطأً ذلك التصـرُّف، وخطلَ ذلك الإجراءِ، فيبتعدَ عنه، ويُنبهَ زملاءه إليه.

ومن ذلـك حـمـــاقـــةُ بـعضِ المعلِّـمينَ، وتسـرُّعُهم، وتـصرُّفُـهم الذي يؤدِّي إلى نتـائجَ عكسيَّة عليهم، وعلى طلابِهم.

فالطالبُ يرغبُ من أُستاذِه العطفَ والحنانَ، والرفقَ والإكرامَ.

إنَّ التلميذَ إنسانٌ لَه مشاعرُ وعواطفُ، ولدَيه وجـدانٌ وأحـاســيسُ، الكلمـةُ النابـيـةُ تُؤذيه، والعبارةُ الخـشنة تُزعجُه، والتـصرُّفُ الأرعَنُ قَد يتسبَّبُ في ضياعِه وفشلِه.

ويُخطئُ بعضُ المعلِّمين حينَ يعتقدُون أنَّ السيطرةَ على الفصلِ تكونُ بالخشُونةِ والغِلظةِ، وتتمُّ بالقسوةِ والفظاظةِ.

وإنِّي أتذكَّرُ برقيةً وصلتْ من أبٍ أسهرَه ابنُه الصغيرُ، وأزعجَه طفلُه الوحيدُ، حيثُ صارَ يَهذي في نومه، ويحلمُ ويصرخُ ويُولَولُ: الشريفةَ الشريفةَ. وكأنِّي بهذا الطِّفل قد صارتْ الشريفُةُ كابُوساً يُزعجُه، وحُلماً يخيفُه، والأمُّ والأبُّ يرقبان فلذةَ كبدِهم وهو في هذهِ الحالةِ القاسيةِ، والصورةِ القاتمةِ.

وتخيَّلْ ـ أخي القارئ ـ طفلَك وقد مضى من اللَّيل أكثرُه، وقد صار يصرخُ ويصيحُ

ويقولُ: الشريفةَ، الشريفة.

فماذا ستقولُ؟! وكيف ستكونُ حالك؟! إنَّك ستسمِّي باللَّه علَيه، وستقرأُ على طفلك المعوِّذتين، وستحتضنُه، وتقبِّلُه، وتُضيءُ المصباحَ، وتُهدِّئُ من حاله. وإني لأرحمُك في تلكَ اللحظة، وأحسبُكَ تذرفُ دمعةَ الأبوةِ التي عبرَ عَنها الشاعرُ الأميريُّ بقولِه:

هَيْهاتَ هيهاتَ ما كلُّ البكاءِ خَوَر

إنِّي وبِي عزمُ الرِّجالِ أبُ

ويقولُ ذلكَ الأبُ: معاليَ وزيرَ المعارف، أرفعُ برقيَّتي هذه لمعَاليكم، وبها أتقدَّمُ بشكوى

ضـــدَّ المدرِّس (م.ح.ع) في مـــدرســـة (س.و) الابتـدائية، بإدارة التـعليم (م.ج). إنَّ هذا المعلمَ يحملُ عصاً يُهددُ بهـا الطلابَ، ويهزُّها أمامَهم ويُسـمِّيـهـا الشريفـةَ، ويُخـيفُـهم بهـا. وطِفلي بالأمس أزعَجـني وأرَّقني، وأسهرَنـي، ويصيحُ طولَ الليلِ: الشريفةَ، الشريفة.

هذه حـالةٌ غريبـةٌ، وتصرفٌ أهوجُ، وإجـراءٌ أرعنُ. وقـد تمَّتْ مـسـاءلةُ ذلكَ المعلمِ، وجـرَى تنبيهُه، وحوسبَ، وأُفهِمَ خطأَه.

وقـــد هاتفتُ ذلكَ المعلـمَ بعـدَ أنْ وصـلَتْني معاملةُ المساءلةِ، وأفهـمتُه بخللِ ذلكَ التصرفِ، وخطلِ ذلك الإجراءِ.

وأبدَى أسفَه، وأظهرَ ندمَه، وقال إنَّه: لم يكنْ يتصورُ تلكَ النتائجَ، ولم يكُن يتوقعُ أن الأطفالَ بهذهِ الصورةِ.

قلتُ له: ألا يوجدُ لديكَ أطفالٌ؟

قال: لم أتزوَّجْ بعدُ.

قلتُ: إنَّك لم تعرفْ عطفَ الأبوَّة وشفقتَها، وإذا تزوجتَ ـ إن شاء اللهُ ـ وأنجبتَ الأطفالَ عرفتَ ذلك العطفَ والحنانَ، وأدركتَ تلكَ المشاعرَ.

ووعدَني ذلكَ المعلمُ خَيراً. وأرجُو أن يفيَ بوَعده. وأتمنَّى أن لا يُدرِّسَ المراحلَ الأوليةَ إلاّ المعلمونُ الآباءُ الذين يعرفونَ طعمَ الأبوَّة.

وصورةٌ أُخرَى للمعلِّم (ع.ي.س) الذي كان يحملُ معَه سكِّيناً، ويضعهُا أمامَ الطلابِ للتخويف والإرعابِ. وحين جرتْ مساءَلتُه قال: إنَّه يُحضرُها كوسيلة إيضاحٍ. وقد تمَّ إبعادُه عن التَّدريس، وتحويلُه لعملٍ إداريٍّ، حيثُ ثبتَ لدى اللجانِ تسرُّعُه وتعجُّله، وضَعفُه وقسوتُه.

إنَّ هذه التصرفات الخاطئةَ وإن كانتْ قليلةً لكنَّها مؤلمةٌ، ولا تليقُ بالتربويِّينَ، ولا تجدرُ بالعاملين في المدارسِ.

يقولُ العلامةُ ابنُ خلدون: ينبغِي للمعلِّم في مُتعلِّمِه والوالدِ فِي ولدِه أن لا يستبدُّوا علَيهم في التأديبِ.

وكانَ اللهُ في عَون زُملائي مُديري المدارس على تلكَ العناصر المُزعجَة وعلى أولئكَ المعلمينَ المتخاذلينَ والنافرينَ من النظامِ والتعليماتِ، مع أني أجزم بقلّتهم ولله الحمد.

٤- العَدْل والقِسْطَاس

النظامُ جميلٌ، والعدلُ أجملُ.

وإذا احترمتَ الآخرينَ احترمُوك، وإذا صدَقْتَ معهم قدَّروك، وصاحبُ الحاجةِ ملحاحٌ، وينسَى جمهرةٌ من المُراجعينَ المُثلَ والقِيَمَ، وينشُدونَ استثناءَهم من هذا النظامِ، ويطلبُونَ تجاوُزَ تلك القواعدِ، ويُصبحُ رِضاهُم عنك مرهوناً بقضاءِ حاجاتِهم، ومدحُهم لك ملازماً بتسهيلِ مطالبِهم.

ويومَ كنتُ في وزارةِ المعارفِ وجدتُ لَوماً من إخوةٍ كرامٍ يطلبُونَ نقلَ أبنائِهم، خِلافاً

للضـوابط، ولقيتُ عـتاباً من أصـدقاءَ أحـبابٍ يرُومونَ منِّي الاستـجابةَ وتقديرَ الشفـاعة، حتَّى لو خالفتُ نظاماً يجبُ أن أرعَاه، أو قراراً يجبُ أن أحفظَه.

وكنتُ أُقابلَ المراجعينَ فـي الصَّالة وأحدِّثُهم حـديثاً جـمـاعيـاً، ليـعرفُـوا الموقفَ فـيعـذرُوا ويعلمُوا الحزمَ فينصرفُوا.

وكـان منهجُ الوزارةِ إبـلاغَ المراجـعينَ بهـذه القـواعِد عند مـراجَـعَتِـهم أو بالكتـابةِ لهم في مناطقِهم؛ لكيْ يعرفُوا النظامَ فيطمئنُّوا، ويعلمُوا بالعدلِ فيرتاحُوا.

وكان معالي وزيرِ المعارفِ الدكتورِ عبدالعزيز بن عبد الله الخويطر قد ألزمَ نفسَه بالحزمِ والعدلِ؛ فهابه الموظَّفون، واحترمَه المراجِعون. لقد كان أستاذاً تعلَّمتُ منه أشياءَ كثيرةً.

وإنِّي أتذكّرُ أنَّه وردَ لمعالِيه خطابٌ يقولُ فيه صاحبُه:

معالي وزيرِ المعارِفِ الدكتور عبدالعزيز الخويطر حفظَه اللهُ:

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، وبعد.

لا يخفى عليكم أنِّي أرسلتُ لمعالِيكم عدداً

من الخطابات، ولم يصلْني رَدٌّ. وأنا يشهدُ اللهُ على أنَّ كلامي صحيحٌ، ويُثبتُ كلامي صورةٌ من (كرْت) العائلة برفقة هذا الخطاب، حيثُ إنَّ ولدي عُيِّنَ مدرِّساً بمنطقةِ نجرانَ وأنا بمدينةِ خميس مشيط.

أرجُو نقلَ ولدي ليقومَ بشؤون أخواته، ولا عندي بعدَ الله إلا هذا الولدُ، وأنتُم يا معالي الوَزير من كلِّ خيرٍ قريبٌ، ولا أقصدُ إشغالَكم عن أعمالكم الجليلة. لا والله إلا إنَّني ووالدتَه، طاعنينَ في السنِّ، والباقون إناثٌ. أرجُو من الله ثم منكم يا معالي الوزير النظرَ في موضُوعِي هذا والله يحفظُكم.

والد المعلم (م.ع.ق)

وشرحَ معاليه على هذا الخطابِ بما نصُّه: سعادةَ الوكيل، كلُّ من كتبَ خطاباً للوزارة يجبُ أنْ يُردَّ علَيه، وإلا تكدَّسَتْ أعدادُ الساخطين الذين لا يعرفون أسبابَ عدمِ الاستجابةِ لطلبِهم. والإعلامُ ليس فيما يُنشَرُ في الصحفِ، ولكنْ في تنويرِ الأفرادِ بقضاياهم لكسبِهم إذا عرفُوا الأنظمةَ وأنَّها هيَ التِي تحكمُ الأمورَ بالعدلِ والقسطاسِ.

الخويطر

نعم، بالعدلِ والقسطاسِ كانت الوزارةُ تعملُ، وإذا جعلَ المسؤولُ الأولُ من نفسه قُدوةً استراحَ وأراحَ، وذلكُم معالي الدُّكتور الخويطر

جزاهُ اللهُ خيرَ الجزاءِ وأوفاه، الذي أخذتُ من شرحِه على هذا الاستدعاءِ عنوان هذا الموضوعِ (العَدل والقِسْطاس).

وكان يحدثُ أنْ يأتيَ بعضُ المعلِّمينَ فيزعُمُونَ أنَّ غيرَهُم جرَى نقلُه، وهُم أحقُّ، أو تمَّ تفضيلُه وهُم أجدرُ.

ونتثبَّتُ فلا نجدُ لقولِهم حقيقةً، ولا نعرفُ لادِّعائِهم مُستنداً، ونقعُ في حَيرةٍ، هَل نُحاسبُهم على ادِّعائِهم، أو نتجاهلُ قولَهم؟

وكان معالي الدكتور الخويطر يُوجِّهُ بالتَّحقُّقِ والتثبُّتِ، ومحاسبةِ المقصِّرِ أيّاً كان لكي يَعرفَ

الناسُ المنهجَ، ويعلمَ الجميعُ النظامَ، فيعذرُوا، ويكفُّوا عن المراجَعةِ والإحراجِ.

وتغيرَتْ الوزارةُ، وجاءَ معالي الأخِ الكريمِ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، ووجدَ هذا المنهجَ القائمَ، فأقر ما كُنا نسيرُ بموجبه، وهو العدل والقسطاس أثابَه اللهُ، وتركتُ الوزارةَ بتقاعدي المُبكر، وأرجو أن يكونَ ذلك المنهج مستمراً، وذلك الإجراء قائماً.

هذا وكانَت المعاناةُ حينَ يزعمُ أحدُ المعلمينَ أنَّ زميلَه جرَى نقلُه في حين أن هذا الزميل يُخالفُه في التخصُّص، ومن ثَمَّ لا يجوزُ الاحتجاجُ؛ فمادةُ الرياضيَّات يختلفُ وضعُها عَن مادةِ الاجتماعياتِ وهكَذَا.

وأتذكَّرُ أنَّ معلِّماً جاءَ، واحتجَّ بأن زميلاً له يُماثلُه في التَّخَصُّصِ ويسبقُه في المُباشرة جرى نقلُه، وهُو أحقُّ منه. وتساءلَ: أين العدلُ؟! وأين النظامُ؟!

وأفهمتُه أنَّ الكمالَ لله وحدَه، وأنَّ الخطأَ قد يقعُ، وأنَّه رُبَّما جرَى نقلُه لسببٍ مُقنعٍ ومُحدَّد، وأنَّه إن وجدَ شيءٌ من ذلك فهي حالاتٌ نادرةٌ؛ فالوزارةُ يتقدَّمُ إليها كلَّ عامٍ أكثرُ من عشرة آلافِ معلِّمٍ يرغبونَ تعديلَ أماكنهم، ووجودُ حالةٍ أو حالتَينِ يُستثنَونَ من الضَّوابطِ لأسبابٍ خاصةٍ، وجوانبَ إنسانيةٍ معلومةٍ فذلكَ لا يعيبُ الوزارةَ.

ومع ذلك كلَّفتُ جهازَ المتابعةِ بالتحقيقِ في الأمرِ، وتبيَّنَ صدقَ قولِ هذا المُشتَكي، فقد دلَّسَ ذلك المعلمُ المنقولُ في الاستمارةِ المعَدةِ للنَّقلِ، وقدَّمَ تاريخَ المباشَرةِ، وفاتَ ذلك على الأقسامِ المختصَّةِ.

وقامت الوزارةُ بإلغاءِ نقلِ ذلك المعلمِ وإبقائه في مكانه، ولمدَّةِ عامينِ. فلا بُدَّ من الحزمِ والهيبَةِ، كما تمَّ محاسبةُ مُديرِ المدرسةِ والموظَّفِ المختصِّ في إدارةِ التعليمِ؛ حيثُ فاتَ عليهما التدليسُ والتزويرُ، ووقَّعا على الاستمارةِ المُعدَّةِ دونَ تثبُّتٍ، وبتَعجُّلٍ.

وصـورةٌ أخرَى لمعلِّمٍ أرسلَ بـرقيـةً أبكتْني، ورسالةً أرَّقَتني، يقولُ فيهَا:

وكـيلَ الوزارة، أنا معلـمٌ تعيَّنتُ في نجـرانَ، ورضيتُ وقـبلتُ، وباشرتُ العـملَ هناكَ. وفي بداية الإجازة رجعتُ إلى أهـلي في الباحة، إلى أحبَّتي، إلى أمِّي وأبي، إلى عُـشَّهم الذي درجُوا فـيـه، وبلدتِهم التي تربَّيتُ فـوقَ أديمِهـا، وتحتَ سمائِها.

وقد وقعَ علـيَّ حادثٌ وأنا في الطريقِ؛ فـقد كنتُ أتحـدَّثُ معَ زوجـتـي ونحنُ عـائدونَ، ونتكلَّمُ فـي الإجـازةِ وجـمـالِهـا، وعن الأهلِ، وكيفَ نقضِي هذه الأيامَ القادمةَ؟

وبينَما كنتُ مستغرقاً في الأحلامِ مسترسلاً في الكلامِ وإذْ فجأةً انحرفَت السيارةُ (الجيب) التي أمتلكُها وأقودُها، وترنَّحَتْ شمالاً ويميناً، ثُم استقرَّتْ ولم أشعُر بنَفسِي إلا فِي المستَشفَى التي أكتبُ لكَ منها هذه الرسالةِ.

سعادةَ الوكيلِ، أنا مؤمنٌ بقضاء الله وقدَره، ولكنْ أخبرُكَ أن زوجَتي توفِّيَت في هَذه الحادثة. وأرفقُ لَكم شهادةَ الوفاةِ، وأرجُو أنْ تتفضَّلُوا باستثنائي من الضَّوابطِ المعتمدَة للنقلِ فلا أستطيعُ العودةَ إلى نجرانَ وقد فارقَتْني زوجَتي الحبيبةُ.

إنَّ حالَتي الإنسانيةَ صعبةٌ، وإنِّي أريدُ أن

أرعَى طفلتيَّ بينَ والدَيَّ هُنا في البـاحةِ. وأنا لا زلتُ في المستشفَى؛ فـقَد أُصِبتُ بكسورٍ. أسألُ اللهَ لزَوجتِي الرحمةَ، وليَ الشفاءَ.

ولكُم تحيَّاتي.

وهاتفتُ المذكورَ في المُستـشفَى، ورجوتُ له الشفاءَ، واتصـلتُ بإدارةِ التعليمِ التي يرغبُ في النقلِ إليـهـا، وعـرفتُ حقـيـقـةَ الأمرِ وصـدقَ أقوالِه.

وبناءً علـى ذلك تَمَّ اسـتـثناؤُه من جـمـيع الضوابطِ، وجرَى نقلُه تَقديراً لحالتِه الإنسانيةِ.

وهذا في نظَرِي هُو العدلُ والقِسْطاس الذي

تسيرُ بموجبِه الوزارةُ؛ فالقائمونَ على التعليمِ لهم مشاعرُ وعواطفُ، ولدَيهِم إحساسٌ ووجدانٌ، وينظرونَ للأمورِ من جميع الجوانبِ، وإذا لزمَ الاستثناءُ تمَّ؛ فلا يجوزُ أن يكونَ المسؤولُ آلةً صمَّاءَ تطبِّقُ الأنظمةَ فقَطْ، بَل هُو إنسانٌ يستقبلُ المراجعينَ، ويقرأُ المعاملات، ويعرفُ النظامَ، ويُوازنُ بينَ الأمورِ، ويجتهدُ، ثُم يتخذُ القرارَ، وفقَ قناعَتِه، وحسبَ المصلحةِ العامةِ.

٥- المعلم البلوي

اللهمَّ كُنْ في عونِ القائمين على التعليمِ، اللهمَّ وارزُقْهم الصبرَ، اللهمَّ وامنَحْهُم الحِلمَ.

وكيف لا أدعُو لهم وقَد عِشتُ مرارةَ المراجِعين، وذُقتُ قسوةَ المطالِبين، واكتوَيتُ بعتابِ الأقربين.

فهذا المعلمُ يرغبُ تلك المنطقةَ، وذلك يريدُ تلكَ المدرسةَ، والشافعُ يطلبُ أن تستجيبَ، وتبّا لك إنْ لم تحقِّق الرغبةَ، والقريبُ يرجُو، والويلُ لك إن لم تُقدِّر الوساطةَ، والصديقُ يأملُ والشَّنارُ لك إنْ لم تقضِ الحاجةَ، والزميلُ في العملِ يرى أنَّ له حقاً وأولويةً، وله حظوةً ومكانة.

حنانيْكَ ربَّـاه؛ كـيف العـملُ فـي هذا الجـوِّ الضَّـاغط؟! ورُحمـاك إلهي؛ كـيف الصبـرُ في هذا المُحـيطِ الخـانقِ؟! وكـيف الأداءُ في هذا الطوقِ الكاتمِ؟!

إنَّهم يقولونَ: لنا شفـاعةٌ. ونقولُ لهم: عندنا عدالةٌ. ويقولُون: لنا وجـاهةٌ. ونقولُ لهم: لدينا أمـانةٌ. ولكنَّ الفَـهمَ الخاطئَ، والـظنَّ القاصـرَ، والرأيَ الخاطلَ مشكلةُ المشاكلِ، وبليةُ البلايا.

ورحمَ اللهُ الفـقهاءَ حينَ قـالُوا: الحُكمُ على شَيء فرعٌ عَن تصوُّرِه.

ومن الصُّـــور التي أتذكَّـــرُها ذلك المـعلِّم

البْلوي الذي اعتقـدَ أنَّ التعيينَ والنقلَ في وزارة المعارف يتمُّ وفقَ الشفاعاتِ والوساطات، وهذا الاعـتقـادُ الباطلُ أزعجَ المسـؤولين في الوَزارة، وأصبحَ الهمُّ إقنـاعَ هذا وإفهامَ ذاك بأنَّ التـعيينَ والنقلَ يجريانِ وفقَ أسُس وضوابطَ معلنة، وأنَّ الأسماءَ تعلنُ في الصُّحـفِ لكَي يعرفَ الجميعُ أينَ عُيِّنَ هذا؟ وأينَ وُجِّـه ذاك؟ فوزارةُ المعارف تُعلِّمُ القـيمَ، وتُدرِّسُ الفـضـائلَ وهي الأجـدرُ بالعـدلِ، والأحـرَى بالإنصاف، فـلا يأخـذُ هذا حقَّ ذاك، ولا يُقـدَّمُ زيدٌ عـلى عَـمـرٍو إلاّ بحقٍّ مـعلومٍ، وبسـببٍ مـدروسٍ يقنَـعُ به كلُّ مطَّلعٍ، ويرضاه كلُّ معترضٍ.

هذا ما كـان إبَّانَ عملِي فـي وزارة المعارف. وأرجُو أن يسـتمـرَّ ذلكَ المعيـارُ، وأنْ يظلَّ ذلكَ الأساسُ.

المهمُّ أنَّ هذا المعلـمَ البلويَّ عُـيّنَ في تبـوكَ، وراجعَ في طلـبِ نقلِه إلى الرِّياض. ولم يـجِـدِ اسـتـجابـةً؛ فهنـاكَ ضوابطُ وأسـسٌ تُطبَّقُ على الجـميعِ. وحينَ تعـذَّرَ عليـه النقلُ لجأَ إلى أحـدِ الوزراءِ، وكتبَ إليه الرسالةَ التاليةَ:

يا معاليَ الوزيرِ الفاضلِ، إنَّني أحدُ المدرِّسينَ المتعـيِّنينَ هذا العامَ، والخـريجُ في كليةِ الشـريعةِ بالرياضِ. وقد تمَّ تعييني بمنطقةِ تبوكَ، علماً بأنَّ

جـمـيعَ أهلي بما في ذلك زوجَـتـي وطفلي هُنا بمدينـة الرياضِ. وقــد ضــاقـتْ بي الأمــورُ، وعجـزَتْ طاقاتي ومحاوَلاتـي بنَقلي إلى مدينة الرياضِ. وكما تعلمُ يا مـعاليِ الوزيرِ قولَ النبيِّ ﷺ: «وإذَا استـعانَك فأعنْه». وقـولَ الله تعالى: ﴿مَن يَشْـفَعْ شَــفَـاعَـةً حَـسَنَةً يَكُـن لَّهُ نَصِـيبٌ مِنْهَا﴾، وقولَه ﷺ: «الأقـرَبون أوْلَى بالمعروف». وكما هُو معلومٌ لدَيكُم يا معاليَ الوزيرِ من صلةِ القـرابةِ بينَنا وبينَـكم، وسُـكنَى الدِّيار، ومع هذا وذاك فنحنُ لا نعــرفُ قَـريبـاً يشـفـعُ لنا بذلك سواكَ.

فأرجُو أنَ تشفعَ لي عندَ معالِي وزيرِ المعارفِ

وأنْ تكونَ سَنداً لِي عندَه كما قالَ الصحابيُّ الجليلُ المجذَّرُ بن ذياد البلوي.

أنا الذِي يقالُ من بليّ

وأبناءُ عمِّي جهينة أسنائدي

ولعل الأخ المعلم روى هذا البيت المكسور والمحرف من ذاكرته ليُحرِّك همة الوزير الذي يشفع به. أما صحة البيت كما ورد في الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٢٢) فهو:

أنا المُجَذَّرُ وأصلِي من بلِيّ

أطعنُ بالحربةِ حتَّى تَنثَنِي

ونعلمُ من هذه الرسالةِ أنَّه يستشفعُ بوَزير

من جُهينةَ. وكانَ الوزيرُ عاقلاً ومدركاً وناضجاً، فكتبَ إلى وزير المعارف على استدعاءِ المذكورِ ما نَصُّه: «معالي الأخِ الكريمِ أبا أحمدَ ـ كنيةُ وزيرِ المعارفِ ـ هذا رجلٌ لا أعرفُه، ولا أعرفُ شَيئاً عن صدقِ ما ادَّعَاه، وأتركُ الأمرَ لتقديرِ معاليكم».

وقد أحالَ معالي وزير المعارفِ هذه الشفاعةَ دونَ توجيه، وتركَها للنظامِ. وبهذا المنهجِ يكونُ الحزمُ والضبطُ، والقناعةُ والرِّضا.

هذا وقد قابلتُ هذا المعلمَ وأفهَمتُه منهجَ الوزارة، وأخبرتُه بالضوابطِ، وأنَّ العدلَ شعارُنا، وأنَّه لا محاباةَ في التعيينِ، ولا وساطةَ

في التوجيه. وقد بدأنَا بأنفُسنا وقسَوْنا على أقربائنا، وما استجَبْنا لأصدقائنا لنكونَ قدوةً للآخرينَ؛ فهذا منهجُ التعليمِ، وهذا شعارُ التربيةِ الذي ارتضَيناهُ لذواتنا، ونَنشُدُ من الجميعِ قَبولَه، ونَرغبُ من الآخرينَ رِضاهُ.

وحين مقابَلَتي لذلك المعلِّم همَّ بالثَّناء والإطراء، وأرادَ أن يسترسلَ في المدحِ والإشادة، ولعلَّه ظنَّ أنَّ هذا أسلوبٌ ينفعُ. وما عرفَ أنِّي قد اقتنعتُ بما رواهُ الجاحظُ في رسائلِه حينَ قالَ[1]:

«فأمَّا ثناءُ المادحين لك في وجهكَ فإنَّما تلك

أسواقٌ أقامُوها للأرباحِ، وساهَلُوك في المبايعةِ، ولم يكُنْ في الثَّناءِ عليهم كُلفةٌ؛ لكسادِ أقاويلِهم عند الناسِ. أولئكَ الصادُّونَ عن طُرقِ المكارمِ، والمثبِّطونِ عن ابتناءِ المعالِي»(١).

ولهذا أوقفتُه عن القَول، وكفَفْتُه عن الإطرَاءِ وأرجُو أنْ يكونَ ذلكَ المعلمَ قَد تعلَّمَ الدرسَ وعرفَ، واقتنعَ ورضِيَ.

(١) رسائل الجاحظ: ١/ ١٢٩.

العبيكان للنشر
Obeikan Publishing

إحدى شركات

العبيكان للاستثمار
Obeikan Investment Group

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار هداد للنشر الإلكتروني
Ohad Audio Publishing
WWW.OHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
نون noon

٦- الحَيْـرة

إنِّي أشــفـقُ علَى المســؤولِ، وأرحمُ ذلكَ الرئيسَ، وأدعُـو لكـلِّ مَنْ تولَّى عـمـلاً قـيـاديّا بالتَّـوفـيـق؛ فليسَ المركـزُ بالمغـنم ولا المكسب. وأصـعبُ قـرار على كلِّ مـسـؤول هُو اختـيـارُ أعوانِه، وترشيحُ مساعديه.

إنَّ الأمـرَ ليس مـن السُّـهـولَة بمكـان، فليس يَسيـراً أن تختـارَ مسؤولاً يشـدُّ عَضُـدَك، وآخرَ يقوِّي أزْرَك.

وفي الأعـمال القـيـاديَّة التي تولَّيـتُهـا كنتُ أُعاني من هذا الأمْر، وصرتُ أتذكَّرُ قولَ رسُول

الله ﷺ: إنما الناسُ كَإبلٍ مائة، لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً [١].

وكان أكبرُ هَمٍّ أتعامَلُ مَعَه في كلِّ سَنة إبَّانَ عملي في تعليم الرِّياض هُو ترشيحُ مُديري المدارس؛ فالمدرَسةُ بقائدِها، والسَّفينةُ برُبَّانِها.

ولقد كنَّا نبحثُ عن الرَّجل القويِّ، والتربويِّ الأَمين، والأَب الرَّحيمِ، والتَّقيِّ الصالحِ، ولكنْ هيهاتَ هيهاتَ أن تتوافرَ هذه الصفاتُ في كلِّ شخصٍ؛ فالمطلوبُ في كلِّ عامٍ عشراتٌ.

ولقد كنتُ أقتَدي بما رواهُ ابنُ عبدِ ربِّه في

(١) صحيح البخاري : رقم (٦٤٩٨).
صحيح مسلم: رقم (٢٥٤٧) .

كتابه (العقْد الفَريد) من أنَّه قدِمَ رجالٌ من الكُوفة على عمرَ بْن الخطَّاب ـ رضيَ اللهُ عَنه ـ يشكونَ سعدَ بنَ أبي وقَّاص، فقال عمرُ: مَن يعذرُني في أهلِ الكُوفة؟ إنْ وَلَّيتُ عليهم التَّقيَّ ضعَّفوه، وإنْ وليتُ عليهم القويَّ فجَّروه! فقال له المغيرةُ: ياأميرَ المؤمنينَ، إنَّ التَّقيَّ الضعيفَ له تقواهُ، وعليك ضعفُه، والقويَّ الفاجرَ لكَ قوتُه وعليه فجورُه. قال: صدقتَ. فأنت لهم، فاخرُجْ إليهم. فخرجَ. فلم يزلْ فيهم أيامَ عمرَ، وصدراً من أيامِ عثمانَ، وأيامَ معاويةَ حتَّى ماتَ المغيرةُ.

وهكذا كنَّا نبحثُ عن القويِّ وصاحب الخبرَة والقيادَة، ونَكِلُ إليه الإدارةَ. وأحمدُ اللهَ

أنِّي لم أرشِّحْ طوالَ فترة عملي شخصاً لقَرابَته، أو امْرَأً لصَداقته؛ فالأمرُ للمختصِّينَ، والشأنُ للموجِّهينَ، ولكن كنَّا والله نحتارُ، وكانت الحيرةُ دَوماً تلاحقُنا، والحيرةُ معنا.

وكان اللهُ في عون الموجِّهينَ؛ فإنَّهم يتحرَّونَ ويجتهدُونَ، ويُصيبونَ ويُخطئونَ، فقد انفردَ اللهُ تعالى بالكمال، ولم يبرَأ أحدٌ من النُّقصانِ.

٧- حَسْناءُ في الإدارة

معلومٌ أنَّ إدارةَ التعليمِ مباشرةٌ للجُمهور، يتوالَى عليهَا المراجعونَ، ويؤمُّها القادمُونَ؛ وذلكَ لقضاءِ حوائجِهم، وإنجازِ مصالحِهم.

وأغلبُ المراجِعينَ رجالٌ، ومن النادرِ مجيءُ امرأةٍ للمُراجعة؛ فالرجلُ في بلادنا مسؤولٌ عَن المرأةِ، ومكلَّفٌ بخدمَتها ورعايتِها وقضاءِ حوائجِها؛ فلَه القَوامَةُ، وعلَيه المسؤوليةُ، ولَها الكرامةُ والعنايةُ؛ فهيَ الأمُّ والزَّوجةُ، وهيَ الأختُ والابنَةُ.

وإنَّه مِن خِلال مَسيرَتِي الوظيفيَّةِ التي كانت

عشر سنوات منها في إدارةِ التعليمِ، ومعَ مباشَرَتي للمُراجعين لَم أجِد المرأةَ تُراجعُ إلا نادراً، ولَم أرَها قادمةً إلا قليلاً؛ فالحياءُ يمنعُها، والرجالُ يرعُونَها، ويقومُونَ بشُؤونِها.

وإنَّ الحياءَ نعمةٌ للمرأة؛ فهُوَ الحُسنُ والبَهاءُ، وقَد وصفَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الحورَ العينَ الموعودَ بهم أهلُ الجنةِ بأنَّهنَّ قاصراتُ الطَّرف.

ولهذَا فالنِّساءُ يحتجبنَ، وإذَا لزمَهنَّ حاجةٌ فإنهنَّ يراجعنَ بالهاتفِ، وكنَّا نقضِي حوائجَهن من خلالِه.

وإني أذكرُ سيدةً اتَّصلَتْ بالهاتفِ ذاتَ يومٍ،

وغلبَها البكاءُ، وكانَت تطلبُ تعميدَ المدرسة التي بجوارِ مسكنِها أن تقبلَ ابنَها، وصارتْ تصورُ معاناتَها، وأنَّ صغيرَها يقفُ بالبابِ وهيَ من خَلفِه، وهُو يشاهدُ الطُّلابَ يدخُلونَ ويخرجُونَ من المدرسةِ، وأنَّه يُخاطبُها ويُناجيها أن تسمحَ لَه بالذهابِ معَهم وأنْ تأذنَ لَه باللَّعبِ معَهم، وأنْ ترافقَه إلى المدرسةِ.

وقالتْ: إنَّ مديرَ المدرسةِ طلبَ شهادةَ ميلادِه، وأنَّ والدَ الطفلِ مُطلقٌ لَها، وبينَها وبينَه جفوةً ونفرةً، وأنَّه حجزَ شهادةَ الميلاد لدَيه ويرغبُ بذلكَ تعذيبَها وإيذاءَها ، وأنَّ أباها كبيرٌ في السنِّ، ولا يستطيعُ مجادلتَه

ومـخاصـمتَـه، وإخوتُهـا صغـارٌ، ولا يمكنُ أنْ يرافـعُوه وأن يحـاكـمُوه، وكـانَت تَرجُـو إبلاغ مديرِ المدرسةِ بقبولِه دونَ تلكَ الشهادةِ.

وأمرتُها أن تتصلَ بالمدرسةِ بعدَ يومٍ، وسوفَ تجـدُ الخـبرَ والجـوابَ، وهاتفتُ مـديرَ المدرسـةِ وسألتُه إن كانَ يعرفُ عَن موضوعِ ذلكَ الصغيرِ أم أنَّه لا يعرفُ شيئاً.

وأجابَني مديرُ المدرسـةِ أنَّ والدَ السيدةِ شيخٌ كبـيرٌ، وقَـد قابلَه، وتمنَّى علَيـه قبولَ ولـدَ ابنتِه، وأنَّه أخـبـــرَه أنَّ زوجَـهـا ظالمٌ وقـــاسٍ، ويريدُ التنكيدَ والتنكيلَ.

وقالَ المديرُ: إنَّ النظامَ لا يسمحُ بقبُولِ أيِّ طالبٍ إلا بالوثيقةِ الرسميَّة، وهُو ما حالَ دونَ تسجيلِ ذلكَ الصغيرِ.

وعندَ ذلكَ قلتُ لمديرِ المدرسةِ: اقبلُوا الطالبَ، وأرسلتُ إليه تعميداً من الإدارةِ، وأفهمتهُ أن أمَّ الصغيرِ سوفَ تتصلُ بهم، وعليهِم قبولُه فَوراً والاهتمامُ بِه ورعايتُه ومتابعتُه.

وطلبتُ من مديرِ المدرسةِ أن يرفعَ للإدارةِ عنه لكيْ نُخاطبَ الجوازاتِ ونطلبَ صورةً من شهادةِ ميلادِ ذلكَ الطفلِ.

وصـورةٌ أخـرَى أتذكَّرُها، فـقَـد زارَني ذاتَ يومٍ في إدارةِ التــعليمِ في الريـاضِ رجلٌ طويلُ القامـة، ضَخمُ الجُثَّة، أسـودُ اللَّونِ، وعرفتُ منه أنه قائدُ سيارةِ وقودٍ، وأنَّه يَقضي وقتَه متنقِّلاً بينَ مناطقِ المملكةِ.

وقَد روَى أن ابنتَـه أرَّقَته مساءَ الـبارحة، وأنَّ دُموعَهـا أسهرَتْه بالأمسِ؛ وذلكَ أن زوجَـها قَد طلَّقَهـا وتركَ معَها طفـلاً صغيـراً، وأنَّه يقيمُ في قَطَر، والبنتُ ترغبُ أنْ يلتـحقَ ابنُها بالمـدرسةِ، وتعذَّرَ ذلكَ بسببِ شهادةِ الميلادِ، وعَدم توافرِها لدَيهم، وطلبَ الرجلُ أن نقـبلَ ابنَ ابنتِه بصـفةٍ مؤقتةٍ ريثَما يحضرُ شهادةَ الميلادِ.

وقالَ الرجُل: واللَّهِ ثُم والـلَّه لأذهبنَّ إليه في قَطَر وأحـضـر َمنُه المطلوبَ، والـويلُ لَه إنْ لَم يستجِبْ.

وقَـد أكـبـرتُ في الرجلِ اهتـمـامَـه بابنتِـه، ورعايتَـه لطفلِها، وحـرصَه على إسـعادِها، وتم تعميد المدرسة بقبول ذلك الطفل.

هذه حالُ المرأةِ في المملكة، حاجاتُهـا مرعيَّةٌ، وأمورُها مقضيَّةٌ، وحقوقُها محفوظةٌ.

وصورةٌ أخرَى غَريبةٌ علَى مجتمعِنا، حدثَتْ ذاتَ يومٍ في إدارةِ التـعليـمِ بالرياضِ، فـقُـبَـيلَ صلاةِ الظـهرِ جاءَني في المـكتبِ أحدُ المفـتِّشينَ

الذينَ أوشَكُوا علَى التقاعدِ، وهُو من خِيرةِ الرجالِ أمانةً وخُلقاً ومعرفةً وخبرةً.

وقالَ: يا أبَا تُركي، إنَّ في الإدارةِ حسناءَ تَتيهُ بجمالِها، وإنَّ الموظَّفينَ قَد رَاعَهم حسنُها، وإنَّهُم يتسابَقونَ في خدمتِها.

قلتُ: وكيفَ عرفتَ بجمالِها ؟!هَل أظهرَتْ زينتَها؟ وهل كشفَت عَن محاسنِها؟

قالَ: إي واللَّه، إنَّها طويلةُ القامةِ، مملوءةُ الجسمِ، ضامرةُ الخَصرِ، دَعجاءُ العينِ، كَحلاءُ الجَفنِ، وأنَّه جاءَني إلى المَكتب مَنْ أخبرَني عَنها، وطلبَ أنْ أذهبَ لأنصحَها بالسّترِ.

قلتُ: وماذَا فعلتَ؟ قالَ حينَ رأيتُها راعَنِى حسنُها، وبهرَني جمالُها، وسحرَني عطرُها، وقتلَني لحظُها.

قلتُ: لعلَ جريراً يَعنيها بقولِه:

إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ

قَتَلْنَنَا ثُم لَم يُحْيِينَ قَتْلانَا

يصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حراكَ بِه

وهُنَّ أضعفُ خلقِ اللهِ إنسانَا

قالَ: إي واللهِ، ولقَد لمحتُ كفَّهَا، وحسبتُها صاحبةَ حميدِ بنِ ثورٍ التي يقولُ فيها:

مُنَعَّـمـةٌ لَو يُصبح الـذَرُّ سـارياً

علَى جلدِها نضّتْ مـدارِجُه دَمَـا

بَل أظنُّ أنَّ قَـيْسَ بن ذُرَيحٍ قَـد قـالَ في هذِه منذُ أمدٍ بعيدٍ:

يكادُ حَـبابُ الماءِ يَخْـدِشُ جِلدَها

إذَا اغتـسلَت بالماءِ من رِقَّةِ الجِلدِ[1]

ولَو لَبِسَتْ ثوباً من الوَردِ خـالصاً

لخـدشَ منهَـا جلدَها ورقُ الوردِ

يُثـقِّلهـا لُبْسُ الحـريرِ لِـلينِهـا

وتشكُو إلى جـارَاتِها ثِقلَ العِـقدِ

(١) حباب الماء: ما يعلوه من زبد، أو فقاقيع.

وأرحمُ خَـدَّيْهـا إذَا مَـا لحظتُـهـا

حِـذاراً لِلَحظِي أن يؤثِّرَ في الخَـدِّ

قلتُ: ومـاذَا عملتَ؟ وهَل أمـرتَها بالسّـترِ، وعـرفتَ حاجـتَهـا، ووعظتَهـا، وصرفـتَهـا من الإدارةِ.

قالَ: لا.

قلتُ: أرجوكَ، اذهبْ لنُصحِها.

قـالَ وقَد وقـفَ: لا والله، لا والله، ثُم ولَّى وهُو يضحكُ، ويعلنُ عجزَه وضعفَه.

قلتُ: سبحـانَ الله، لعلَّها قَد أنهتْ حاجـتَها وخرجَتْ من الإدارةِ.

وبعدَ بُرهة من الزمنِ، إذا بي أسمعُ الصوتَ الناعمَ لدَى مُدير مَكتَبي، وإذا بالرائحة تفوحُ، والعطرَ يموجُ، وما هيَ إلا لحظاتٌ وتدخلُ عليَّ في المكتبِ، وتقدِّمُ خطاباً مطبوعاً، ورسالةً منسوخةً، وقَد خلطَت حُسناً بطيبٍ، كمَا قالَ عُمرُ بن أبي رَبيعةَ:

صَلْتَةُ الخَدَّيْن خَوْد

خَلَطَتْ حُسْناً بِطيبِ

وعلَى الفَورِ استدعَيتُ مديرَ المكتَبِ، وذلَكَ المستخدمِ النشطِ، ووقفُوا يرقبونَ هذَا الموقفَ الفريدَ، وهذه الحالةَ النادرةَ.

(١) صلتة الخدين: ملساء الخدين. والخود: الشابة الحسنة الناعمة ما لم تصر نصفاً.

وحينَ نظرتُ في الأوراقِ عرفتُ أنَّ المرأةَ ابنةُ أحدِ المعلِّمينَ الوافدينَ، وأنَّها ليستَتْ سعوديةً، وترغبُ تجديدَ تأشيرةِ والدِها، الذي سافرَ وتركَها في مدينةِ الرياضِ مع إخوتِها وأمِّها.

وقَد وعظتُها وأمرتُها بالسّتر، وقلتُ لَها: اخرُجي وسوفَ نُرسلُ الأوراقَ رَسمياً، ودَعي أخاكِ أو صديقَ أبيكِ يراجعْ.

وكررتُ وعظَها، وزجرَها، وخوَّفْتُها باللهِ؛ وخرجَتْ من المكتبِ.

وقلتُ: ويلٌ لكُنَّ.

وحـمـدتُ اللهَ أنَّ المرأةَ في بلادِي مُـصـانةٌ، وأنَّها في وطنِي محفـوظةٌ، وأنَّ أمثالَ هذهِ الفتاةِ نوادرُ وشواذٌّ.

٨- أبُـو هنـود

زرتُ في عام مضى إحدَى المَناطق التَّعليميَّة، وتجوَّلْنَـا في عدد من المدارس، ووجـدْنا بعضَـها قد سـاءت حالُهـا، وضاعت قـيادتُها، وغـفلت إدارتُهـا؛ فـالطلابُ شَـذَرَ مَـذَرَ، والمعلِّمـونَ في خصـامٍ وخِلاف، وساحـاتُ المدرَسة وفصـولُها بائسـةٌ، فـلا نظافـةَ ولا صيـانةَ، ولا رعـايةَ، ولا عنايةَ، وحسـبتُ تلكَ المدرسةَ الأرملةَ المرضـعةَ التِي قالَ الرَّصافيُّ عَنها:

لقـيـتُــهـا ليـتَنِي مـا كنـتُ ألقـاها
تمشِي وقـد أثقـلَ الإمـلاقُ ممْشـاها
أثوابُهـــا رثَّةٌ والرِّجلُ حـــافـيـــةٌ
والدمعُ تَذْرِفُــه في الخــدِّ عــيْناها

بكتْ من الفَقرِ فاحمـرَّت مدامعُها
واصفرَّ كالورسِ[1] من جوعٍ مُحَيَّاها
مات الذِي كان يـحميها ويُسـعدُها
فـالدَّهرُ من بعـده بالفَـقرُ أشـقَـاها
الموتُ أفـجعَـهـا والفقـرُ أوجَـعَهـا
والهـمُّ أنحـلَهـــا والغـمُّ أضْنَـاها
فـمنظرُ الحُـزنِ مـشـــهـودٌ بمَنظرِها
والبــؤسُ مــرآةٌ مــقـــرونٌ بمَرآها
تمشِي بأطمـارِها والبـردُ يلسـعُـهـا
كــأنَّه عـقــربٌ شـالَـت زُباناها[2]
تمشِي وتحـملُ باليُـسـرَى وليـدتَهـا
حملاً علَى الصَّدر مـدعُومًا بيُمناها

(١) الورس: نبت أصفر يصبغ به. المحيا: الوجه.

(٢) شالت: ارتفعت. والزبانة: الذنب.

وحين رأينا سوءَ تلكَ المدارس لُمتُ نَفْسي، وعاتبتُ مشاعري، فأنا مسؤولٌ، وسوفَ يحاسبُني اللهُ على القُصور والغَفلة، ونظرتُ لُمدير التَّعليم نظرةَ عِتَاب وحَسرَة، وساءلتُ مديرَ المدرسَة: لماذا الإهمالُ؟ وأين الرِّقابةُ؟ ولماذا التَّقصيرُ؟ وأينَ المتابعةُ؟ أليسَتْ التربيةُ أمانةً؟ أليسَتْ العقولُ جوهرةً؟ وتلعثمَ مديرُ المدرسَة، وارتبكَ الوكيلُ، وذُهلَ المُشرفُ.

وتوقفتُ عندَ ثَلاثة من المُستخدمينَ تحلَّقُوا حولَ إبْريق شَاي، وكانُوا يتبادلُونَ الأحاديثَ وكأنَّهم في مجلس سَمَر، وقلتُ لَهم: لماذا مدرستُكم سيئةٌ؟ ولماذا هذه العلبُ الفارغةُ؟ وماذا تريدوَن بتلكَ العُلب؟ ولماذا تركتُمُوها

على مَـرْأى منَ الطُّلاب؟ وهذه بقـايا الأطعمَـة يمنةً ويسرةً ووسطَ الأفْنيَة، وتـلكُم المياهُ المنسابةُ، أين أنتُم منهَا؟!

وتلفَّتَ أولئك المستـخدمون، ونظرَ بعـضُهم إلى بعض، وحرَّكوا مسابحَـهم وقهقَهُوا، وقالُوا بصَوت جمـاعيٍّ: أبُو هُنود، ها هو يؤدِّي عملَه. ولماذا تُسـائلُـنا؟! اذهبْ إليـه وراقبْـه، ووجِّهْـهُ، ولا تتـدخَّلْ فيـما لا يخـصُّك؟ قالُوا ذلك وقـد ظنُّوا أنِّي صاحبُ المؤسَّسـة. وكان مديرُ المدرسَة يرقبُ الأمرَ، ويكادُ يـقولُ لهم: اسكُتُوا، قُـومُوا تحـرَّكُوا، وأحـسبُ أنَّ هؤُلاء المسـتـخدمين قـد عَرفُوا شخصيةَ مُديرهم، وأنَّها ضعيفةٌ، ومن ثم

لم يحسبُوا له حساباً، ولم يُلقُوا له بالاً.

وقد ذكَّرني هذا المشهـدُ بأبياتٍ شعريةٍ لأخِي الأستـاذ/ حسن بن محـمد الزهرانِي، قـالها في قصيدتِه (هُموم المديرِ):

وعجبتُ مِن عُمَّالنا إذْ لم أجدْ

منهم لما يُسدي المديرُ شَكورا

يتناوبون على الغِيابِ فإن أتَوا

نامُوا وبثُّوا في الفضاءِ شخيرا

هذا وكنتُ فـي جـولاتي لا أظـهـرُ نَفــسي بصفَتي مسؤولاً، ولا أُحيطُ ذاتي بأيِّ مظْهَر يدلُّ

على مـركـزي الوظيـفـيِّ، بلْ أحـاولُ أنْ أزورَ المدارسَ وأتنقَّلُ بينَهـا، وكأنِّي معلمٌ أو مـشرفٌ تربويٌّ، بـل أُحـاولُ أنْ أبدوَ كـمـواطن يزورُ مـدرسـةَ أوْلاده، فـلا يرافـقَني أحـدٌ، ولا ألبس البشتَ، ولا أخبرَ المدرسةَ بموعد زيارَتي.

ولقد تركتُ أولئـك المستخـدمين، وغادرتُ تلك المدرسـةَ، وفي النَّـفس لوعـةٌ، وفي الفُـؤَاد حـسرةٌ. وأوحى لي هذا الموقفُ بالتَّـفكير الجـادِّ في موضُوعِ نظافةِ وصيانةِ المدارسِ.

فلماذا لا نَستَـغني عن هذه الشَّركات؟ ولماذا لا نُوفِّرُ هذا الجـهدَ؟ ولماذا لا نربِّي الطلابَ على النظافَـة؟ ولماذا يتـواكلُ هؤلاء المسـتـخـدمـون

وكأنَّهم في دَار رعاية اجتماعيَّة؟ ولماذا لا نبحثُ عن أسلُوب آخرَ؟ ولماذا لا تُصرفُ المبالغُ لمُديري المدارس، وهُم بدورهم يستخدمون الأسلوبَ الذي يرَونه؛ إمَّا بتَكليف عمالَة من السُّوق من السعوديِّين أو غيرهم، أو الاتِّفاق مع المؤسَّسات مباشرةً، أو تكليف المستخدمين في المدارس بالعمَل الإضافيِّ، والصَّرف لهم وهُو ما أميلُ إليه وأحبِّذُه؛ فهُم أحوَجُ، والمالُ لدَيهم أنفعُ للوَطن من صرفه لعمالة وافدَة؟ وكذلك سوفَ يهتمُّ مديرُ المدرَسة بالأمْر؛ فقد صارَت كلُّ الأمور من مسؤوليَّته المباشرَة؛ فهو الذي اختارَ العمالةَ بنَفسه، وليسَتْ إدارةُ التَّعليم أو الوَزارةُ.

ولهذا بعد أنْ عُدتُ إلى الوَزارة تفاهمْتُ مع مُدير التَّعليم في تلك المَنطقَة، وتمَّ تَعميدُه بمحاسَبة مُدير المدرسَة ووكيلها، وجرَى إبعادُهما عن العَمل القياديِّ، فالسَّفينةُ من قائدها، وجرى تنبيهَ المُشرف المُتَابع لتلك المدرسة، وتمَّ مناقشة موضوعِ النَّظافة في الوزارة، وشُكِّلَت اللِّجان، وتقرَّر إيقافُ العمَل مع الشَّركَات، واقترحت الوزارةُ أسلوباً جَديداً، وهو أنْ تُصرفَ الاعتمَادَاتُ الماليَّةُ لمُديري المدارس بواقع مائة ريال لكلِّ فصل في كلِّ شهر، على أنْ تصرفَ هذه المبالغُ بمعرفة لجنَة تُشكل في كل مدرسة، وتُعدُّ محضراً يُوقَّعُ عليه ويُحفظُ في المدرسة، ولا تُقدمُ فواتيرُ ولا

مستنداتٌ بكيفيَّة الصَّرف، ويُعتمدُ عددُ الفُصول لكلِّ مدرسة من الجهةِ المُشرفة، ثُم تقومُ الشُّؤونُ الماليـةُ بصـرف المبـلغِ المحـدَّد. وقـد تم الكتـابةُ لوَزَارة الماليَّة بهذا الأسلُوبِ الجديد، حيثُ لا بُدَّ من مُوافقتهم على إجازة هذا الإجرَاء.

وقـد تابعتُ شـخـصيّـا هذا الأمـرَ في وزارة الماليَّـة، وقُمتُ بنَفـسي بشَرح الفكرَة، وإيـضاح الهـدف التربويِّ والاجـتـماعيِّ والوطنيِّ، وقـد اسـتجـابت وزارةُ الماليَّـة، ووافقَتْ على عـرضِ الوزارة، وحين وردَ خطابُ وزارة الماليَّة بالمُوافَقة برقـم (١٢/ ٢٤٤٦) في (١٧/ ٢/ ١٤١٧هـ)، قـبَّلتُ ذلك الخطابَ بصـفَـتي مواطناً، وقـبَّلتُـه

بصفَتي مسؤولاً تهـمُّه بلادُه، ويودُّ القضاءَ على الأسلُوب البيـروقراطيِّ العَقـيم، فلا بُدَّ من زَرعِ الثـقَـة، وإعطاءِ مُديـري المدارس الصَّلاحـيَّـات الماليَّة والإداريَّة؛ فلدَيهم ما هُو أهمُّ من المال، إن عندَهم العقولَ وثروةَ المستقبلِ.

٩- المعلمون والنصاب

رُحماكَ ربِّي! كيف يرضى المعلِّمون؟!

حنانَيْك إلهِي! كيف يقنعُ المربُّون؟

تعدَّلَت رواتبُ المعلِّمين فما زالُوا غاضبِين!
وتحسَّنَتْ أُجورُ المربِّين فظلُّوا مُتمَلْمِلين!

تحاوَرْنا في الوَزارةِ حولَ رِضاهُم فما نَجحنا، وتناقشْنا بشأنِ نِصابِهم فما اتَّفَقنا!

وفي كلِّ لقاء نسمعُ الشكوى من النِّصابِ، وفي كلِّ مناسبةٍ نجدُ الحوارَ حولَ النِّصابِ.

وفي أحدِ اللقاءات قُدِّمَتْ لي قصيدةٌ لأخِي

الشاعرِ المدرسِ حسن أبو علّه، وسألتُ عنه فلم يكُن موجوداً في ذلك اللقاءِ .وكانت القصيدةُ تقولُ:

دَعيني وقولَ الشِّعرِ إنْ نابَني ضُرٌّ

أُسَلِّ بِهِ هَمِّي فقد ينفعُ الشِّعرُ

تهونُ رَزَايا الدهرِ لولا شماتةٌ

تراها مِن الرَّازينَ إنْ عَضَّكَ الدَّهرُ

لو انِّي حَمْلَتُ النَّفسَ يوماً على الرَّدَى

تذُوقُ زُؤام الموتِ كان ليَ العُذرُ

ولكنَّ كـأسَ الموت بـغَّض شُـرْبَهـا

إليَّ عــصـافــيـرٌ يـعُجُّ بهـا وكــرُ

أيكشـفُ عنك الضُّـــرَّ منْ لا يرُدُّه

وليس بغــيـرِ الـلهِ ينكشفُ الضُّــرُّ

أُعاني من التَّـدريسِ عِشرين حـجةً

طَوارِقَ أحـزانٍ يضـيقُ بهـا الصـدرُ

وأحـملُ يا سَلمـى نِصـاباً مُـروِّعـاً

تخـورُ القُـوَى منه وينـقَطعُ الظَّهـرُ

نصــاباً له عُــمــرٌ مـديدٌ كــأنَّمــا

هُو الدَّهرُ لايَبلى ولا ينـقُصُ العُمـرُ

أَأَحـملُه بِضـعـاً وعِـشـرين حـصـةً

على كـاهلِي حـتَّى يُغـيِّـبَني القَـبـرُ

لقَـد كنتُ حَـمَّـالاً لَهنَّ وسَـاعِـدِي

قَـويٌّ وأيَّـامي شـبـيـبـتُـهـا بكرُ

ومنْ قـاربَ الخـمـسين أيـقنَ أنَّه

جَفَـاهُ الصِّبَا الزَّاهي وريعـانهُ النَضْرُ

فليتَ شـبـابي كـالنِّصـابِ دَوامُـه

تصـدُّ البِلى عَنه التـعـاميمُ والأمـرُ

ولِلهِ أتـعـابُ المعـلِّم نَفْـعُـهـا

إلى غـيـرِه يـعُـزى وليـس له شُكْرُ

يُؤرِّقُـــه الإعـــدادُ إنْ جـنَّ ليـلُه
وتُنهكُه الأعــمـالُ إن بزَغ الفـجـرُ
تراهُ وقـــد هدَّتْ قُـــواهُ دفـــاترٌ
وأوشكَ بالحــوباءِ ينفـجـرُ الـنَّحْـرُ
يُفـيقُ من التَّـصـحيـح بعد فـراغِـه
إفــاقـــةَ مَــصــروعٍ تملَّكهُ ذُعــرُ
ويَبلـى ومـا تُبـلي الليــالِي نِصــابَه
يُحمَّلُ وهـوَ العودُ مَا يَحـملُ البِكرُ
يلومُكَ في التَّـدريـسِ من لَم يُعـانِه
ويُغـبطُ من لم يَـدرِ مـا طعـمُـه المُرُّ

مظاهرُ يَستَهوِي النفوس بريقُها

ومِن دُونِ مَا تُخفيه من زَيفِها سترُ

ولقد أجاد المعلمُ الشاعرُ، والمربِّي الفاضلُ، ولكن هيْهاتَ هيهات!

إنَّ وزارةَ المعارف حينَ خَفَّضَت نصابَ المدرِّسينَ من ثمانيةٍ وعشرين حصةً إلى أربعٍ وعشرين قبل عشرينَ عامًا زادت أعدادُ المعلِّمينَ قرابةَ أربعةِ آلافِ معلِّمٍ.

وترتَّب على ذلك وظائفُ جديدةٌ، ورواتبُ كثيرةٌ، وهو ما يُعانيه القائمون على التَّعليمِ، وما تتطلَّبُه مثلُ تلك القرارات.

ولكي أحاورَ المعلِّمين وأُقنعَهم، وأناقشَهم مناقشةً علميةً مُوثَّقةً، فقد رأيتُ بعد أنْ تولَّيتُ مسؤوليةَ وكالةِ الوَزارةِ أنْ تقومَ الوزارةُ بدراسةٍ مستفيضةٍ عن نصابِ المعلِّم، في عددٍ من دولِ العالم لنعرفَ أينَ نحنُ؟

وجاءت الدراسةُ لتؤكدَ سلامةَ إجراءِ الوزارة؛ فمعظمُ دول العالمِ تُماثلُ المملكة فيما تُكلفُ به المعلِّمين. وكانَت دراسةً تناولت الأمرَ من جميع جوانبه. يقولُ ذلكَ التقريرُ الذي أعدَّتْه الإدارةُ العامةُ للبحوث في وكالةِ الوزارةِ للتطويرِ التربوي:

إن الأنظمةُ التعليميةُ تتفاوت في طريقةِ تحديدِها نصاب المُعلِّم من الحِصص التدريسية الأسبوعيَّة تَبعاً لاختلاف التركيبةِ العامة لتلك الأنظمة. ففي بعضِ البُلدانِ يتمُّ تحديدُ النصاب من قبل السلطة المركزية، في حين أنَّ بلداناً أخرَى قد تتركُ الحريةَ للمناطقِ، أو حتَّى للمدارسِ لتحديدِ أنصبةِ معلِّميها في ضَوءِ ظروفِها الخاصة.

ولدى استعراضِ التجاربِ العالميةِ المختلفة، فإن الحديثَ عن نصابِ المعلمِ مُرتبطٌ بالحديثِ عن تلك التجارب ونجد ما يلي:

١- يُحدَّدُ نصابُ المعلِّم وَفْقاً لاختلافِ الموادِّ الدراسية والمستويات، فالمعلمُ الَّذِي يقومُ في الغالبِ بتدريسِ مادةٍ واحدة على عدة فصولٍ من المستوى نفسه يختلفُ عن المعلِّم الذي يقومُ بتدريسِ مادةٍ أو موادَّ في مستوياتٍ مُختلفة؛ ذلك أنَّ عدد مرَّاتِ التحضيرِ تختلفُ تبعاً لذلك. وهذا أمرٌ يُفَضَّلُ أخذُه في الحُسبانِ (اختلافُ النِّصابِ وفقاً لعَدد مرَّات التَّحضيرِ) كما أنَّ طبيعةَ المادةِ (علميةً أو أدبيةً) ومدى علاقة تنفيذ دروسها بالمعامِل والمختبراتِ أمرٌ مهمٌ أيضاً.

٢- طولُ اليــوم الدراسيِّ: فــإذا تخلَّلَ اليــومَ الدراسيَّ فــتــراتٌ مـن الراحــة وتـناوُل المرطبـات والطعـام فـإنَّ ذلكَ يعني تحـديدَ عدد أكـبرَ من الحصصِ الـتي تُكَوِّنُ نصابَ المعلِّم.

٣- طولُ العام الدراسيِّ: يعـتمدُ تحـديدُ نصاب المعلمِ على طول فـترة الإجـازة التي يتمـتَّعُ بها.

٤- الظروفُ المحـيطةُ بالـعـمل: فكلَّمـا توافـرَ المبنَى الملائمُ والتـجـهيـزاتُ اللازمةُ كـانت البيئةُ المدرسيةُ مشجعةً على تنفيذِ عدد أكبرَ من الحصصِ اليوميةِ، والعكسُ صحيحٌ.

٥- توافُر من يقومُ بأعمالِ السكرتاريةِ في المدرسة؛ إذ إنَّه متى وجدَ المدرسُ نفسَه منهمكاً في أعمال كتابيَّة وإداريَّة استدعى الأمرُ تخفيضاً نصابه من الحصصِ حتَّى لا يفقدَ التدريسُ فعاليتَه وأثرَه.

٦- نسبةُ الطلاب إلى المعلِّم: يَزيدُ النصابُ وينتقصُ حسبَ نسبة عدد الطلاب في المدرسة إلى عددِ المعلِّمين. ويلاحَظُ أنَّ نسبةَ ٢٥ إلى ١ هي النسبةُ المقبولةُ في الغالب.

٧- عددُ الطلابِ الذين يقابلُهم المعلمُ، أي الذين يقومُ بتدريسِهم في اليَوم الواحدِ يكادُ يكونُ الحدُّ الأعلى هو ١٥٠ طالباً.

٨- حجمُ الفصلِ (عددُ الطلابِ في الفَصلِ): إذ إنه كلَّما ازدحمَت الفصولُ قلَّ عطاءُ المعلِّمِ، ومن ثم تكونُ مطالبتُه بعدد كبيرٍ من الحصصِ مطالبةً غيرَ مقبولةٍ. ويشارُ في هذا الصددِ إلى أنَّ العددَ المقبولَ هُوَ ٢٥ طالباً في الفَصل الواحدِ (على اعتبارِ أن مساحةَ الفصلِ ٤٨ متراً مربعاً).

٩- المرحلةُ الدراسيةُ التي يعملُ بها المعلمُ: إذ يقلُّ النصابُ في بعضِ المراحلِ عنه في المراحلِ الأخرَى.

١٠- خبرةُ المعلِّمِ أو سنواتُ خدمته: يكلَّفُ المدرسُ المتميزُ ذُو الخبرةِ عادةً بأعمالٍ

إشـرافيـةٍ، ممَّا يؤدِّي إلى خـفضِ نصـابِه من الحصصِ.

من هُنَا فـإنَّه لدَى استـعراضِ تجـارِبِ الدولِ الأخرَى مِن حـيثُ أنصبـةُ المعلمين لم يكنْ من الممكنِ إجراءُ مقارنةٍ تبعثُ على الاطمئنانِ لعدمِ توافر معلوماتٍ دقـيقةٍ عن كلٍّ من هذه العواملِ في جَـمـيعِ الدولِ مماًّ يجـعلُ مـقـارنةَ أعـدادِ الحـصـصِ التي يكـلَّف بهـا المعلمُ بـينَ دولةٍ وأخرَى إنَّمـا يأتِي من بابِ الإحصـاءِ الوصفيِّ. وعلينا أن نربطَ ذلك بتـقـديراتنا الخـاصةِ المبنيـةِ على ما نعطِيه مِن أهميةٍ للعواملِ السابقةِ الذِّكرِ.

التجربة الخليجية:

يتراوَحُ نِصابُ المعلِّمِ الأسبوعيِّ في المرحلةِ الابتدائيةِ في دولِ الخليجِ العربيةِ (الإمارات ـ البحرين ـ عمان ـ قطر ـ الكويت) بين ٢٢ – ٣٠ حصةً. وفي المراحلِ الأخرَى بين ١٨ – ٢٦ حصة. وبهذا يكونُ معدلُ نصابِ المعلمِ الأسبوعيِّ كالآتِي:

المرحلة الابتدائية ٢٤ حصةً.

المرحلة المتوسِّطة والثانوية: ٢١ حصةً.

معَ ملاحظةِ أنَّ طولَ زمنِ الحصةِ يتراوَحُ بينَ ٤٠ إلى ٤٥ دقيقةً باستثناءِ دولةِ البحرَينِ، حيثُ يكونُ زمنُ الحصةِ خمسينَ دقيقةً.

التجربة العربية:

لم ترد معلوماتٌ عن الدولِ العربيةِ حتَّى الآنَ باستثناءِ ما وردَ من دولتَي تونسَ والأردنِّ.

في الأردنِّ يبلغُ متوسطُ نِصابِ المعلمِ الأسبوعيّ في المرحلةِ الابتدائيةِ ٢٥ حصةً، و٢٣ حصةً في المرحلتَين المتوسطةِ والثانويةِ، مع العلمِ بأنَّ زمنَ الحصةِ هُو ٤٥ دقيقةً.

أمَّا في تونسَ فإنَّ نصابَ المعلمِ الأسبوعيَّ في المرحلةِ الابتدائيةِ يتراوحُ بين ٢٢ - ٣٠ حصةً، حسبَ خبرةِ المعلِّم (كلَّما زادَت الخبرةُ نقصَ النصابُ)، لكنَّه يتراوحُ بين ١٥-١٨

حصةً في المرحلتين المتوسطة والثانوية، حسبَ الخبرةِ أيضاً، ويتراوَحُ زمنُ الحصةِ بين ٤٠-٥٠ دقيقةً.

التجربة العالمية:

وردَت حتَّى الآنَ معلوماتٌ عن نصابِ المعلِّم في الدُّوَلِ الآتيةِ:

الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ. ـ اليابان ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ اليونان ـ باكستان ـ الهند.

وقد لوحظ أنَّ هذه الدولَ جميعَها تُخصِّصُ النصاب نفسَه للمعلِّم بصرفِ النظرِ عن المرحلةِ الدراسيةِ، ويستَثْنَى من ذلكَ دَولتَا ألمانيا وفرنسا،

ففي ألمانيا يقومُ معلِّمُ المرحلة الابتدائية بتدريسِ ٢٧ حصةً (٤٥ دقيقةً)، بينما يقومُ معلِّمُ المراحلِ الأخرى بتدريسِ ٢٣ حصةً (٤٥ دقيقةً).

أمَّا في الدولِ الأخرَى فيبلغُ متوسطُ عددِ الحصصِ الأسبوعيِّ للمعلِّمِ حوالي ٢٩ حصةً (متوسطُ زمنِ الحصةِ يُساوي ٤٣ دقيقةً).

ويلاحظُ أنَّ اليابانَ تطبِّق أعلى حدٍّ مِن النصابِ، وهو ٣٣ حصةً، مقارنةً بالدولِ الأخرَى، معَ أنَّ إحدَى ولاياتِ أمريكَا تطالبُ المعلمَ بما يقاربُ ٤٠ ساعةَ عملٍ أسبوعيةً.

(ملاحظة: استُخدمَت كلمةُ (ساعة) في

أغلبِ المعلـومـاتِ التي وردَت، وقَـد اعـتـبـرْنا المقصودَ بالساعةِ الحصـةَ الدراسيةَ الواحدةَ، كمَا هو المتَّبَعُ غالباً).

وإلى جـانبِ الـعـملِ التـدريسـيِّ لوحظ أنَّه يتـــوقَّعُ من المدرِّسِ فـي أغلَبِ الدولِ الـتي تمَّ استعراضُها المشاركةُ في الاجتماعاتِ والأنشطة المدرسـيـة. كـما لوحـظ أنَّ أغلبَ الدولِ تطبقُ نظامَ (مدرِّسي الفصلِ) في المرحلةِ الابتدائيةِ.

وأخـيراً لا بدَّ من الإشـارةِ إلى أنَّه لا مجـالَ للمقارنةِ بينَ عملِ مدرِّس الـتعليمِ العامِّ وأستاذِ الجامعة؛ إذ إن الأخيرَ ليس مهنَتُه التدريسَ فقط، وإنَّما يُتوقَّع منه إثراءُ مجالِه التخصُّصيِّ بالبَحث

والتأليف والمشاركات المختلفة، ولهذا يُبنَى قرارُ تقدُّمه في السُّلَّم الوظيفيِّ على هذه المهاراتِ بالإضافةِ إلى التَّدريس.

هذا ويوضِّحُ الجدولُ التَّالي بعضَ المقارنات والمعلوماتِ الضروريةِ التي يجدرُ الاطِّلاعُ عليها.

م	اسم الدولة	النصاب الأسبوعي لمعلم المرحلة الابتدائية	النصاب الأسبوعي لمعلم المتوسطة والثانوية	
١	سلطنة عمان	٢٦ - ٣٠	٢٢ - ٢٦	
٢	الإمارات العربية	٢٤	١٨ - ٢٠	
٣	قطـــر	٢٤	١٦ - ٢١	
٤	البحرين	٢٢	٢٠ - ٢٢	
٥	الكـــويـــت	٢٢	١٨	
١	تـــونـــس	٢٢ - ٣٠ حسب الخبرة	١٥ - ١٨ حسب الخبرة	
٢	الأردن	٢٤ - ٢٦	٢٢ - ٢٤	
٣	سوريا	٢٨ - ٣٢	١٩ - ٢١	

طـول الحصـة الدراسيـة	طـول اليـوم الدراسـي	طـول العـام الدراسـي
٤٠ – ٤٥ دقيقة	٦ – ٧ حصص	٩ أشهـر
٤٠ – ٤٥ دقيقة	٥ ساعات تقريباً	٩ أشهر
٤٠ – ٤٥ دقيقة	٥ – ٦ حصص	٩ أشهر
٥٠ دقيقـة	٦ – ٧ حصص	٩ أشهر
٤٥ دقيقـة	٦ حصـص	٩ أشهر للمرحلة الابتدائية ٩ ونصف للمتوسطة ١٠ للمرحلة للثانوية
٤٠ – ٥٠ دقيقة	٥ – ٨ حصص	٩ أشهـر
٤٥ دقيقة	٦ ساعات	٩ أشهـر ونصف
٤٥ – ٥٠ دقيقة	٥ – ٦ حصص	١٨٥ – ١٩٥ يوماً

م	اسم الدولة	النصاب الأسبوعي لمعلم المرحلة الابتدائية	النصاب الأسبوعي لمعلم المتوسطة والثانوية
١	الولايات المتحدة الأمريكية	٢٥ – ٣٠ بعض الولايات	٢٥ – ٣٠ تصل إلى ٤٠
٢	اليابان	٢٨ – ٣٣	٢٨ – ٣٣
٣	ألمانيا	٢٧	٢٣
٤	فرنسا	٢٧	١٨
٥	اليونان	٢٦ – ٢٢ كلما زادت الخبرة في التدريس قل نصابه	٢٦ – ٣٢ كلما زادت الخبرة في التدريس قل نصابه
٦	باكستان	٣٠ حصة	٣٠
٧	الهند	٢٥ – ٣٠ حصة	٢٥ – ٣٠ حصة
٨	كوريا الجنوبية	٢٥ – ٣١	٢٧ – ٢٩

طول الحصة الدراسية	طول اليوم الدراسي	طول العام الدراسي
٤٠ – ٥٠ دقيقة	سبع ساعات ونصف	١٨٠ يوم دراسي
٤٥ – ٥٠ دقيقة	٦ ساعات تدريسية	٢٤٠ يوم دراسي
٤٥ دقيقة	٦ ساعات	٩ أشهر
--	خمس ساعات ونصف	٨ أشهر ونصف
٤٥ دقيقة	٧ حصص يومياً	١٠ أشهر
٤٠ دقيقة	٦ ساعات	٩ أشهر
٤٠ دقيقة	٨ ساعات	٢١٠ يوم دراسي
٤٠ – ٥٠ دقيقة	٦ ساعات للمرحلة الابتدائية ٨ ساعات للمرحلة المتوسطة والثانوية	٨ أشهر

١٠- في صالة المراجعين

المراجعون أجناسٌ، والقادمون ثقافاتٌ، فهذا معلمٌ يطلبُ النقلَ، وذاك خريجٌ يطلبُ وظيفةً، وذلك من الصَّحراءِ يريدُ فتحَ مدرسة، ورابعٌ ينشدُ قبولَ ابنه، وخامسٌ يطالبُ بصرفِ أجرةِ منزِله، وسادسٌ وسابعٌ.

ويحصلُ أثناءَ المقابلةِ بعضُ المواقف الطريفةِ، وبعضُ الصورِ العجيبةِ، وبعضُ الحالاتِ التي تستوجبُ الصبرَ والحِلمَ.

فمرةً تحدَّثَ مراجعٌ وصارَ يشكُو ابنَ عمٍّ له حولَ موقعِ مدرسةٍ تُزمعُ الوزارةُ فتحَها فِي منطقتِهم. وقَد استمرَّ في الحديثِ، ولم نستطعْ

فهمَ قولِه ولا إسكاتَه ولمدةِ عشرِ دقائقَ، وبعدَ خروجِه عاد ليزيدَ قولَه، فأمسكَ أحدُ المستخدمين به، وصارَ بينَه وبين ذلك المستخدمِ جدالٌ كاد يكونُ عِراكاً، حتَّى تدخَّلتُ في الأمرِ وأذنتُ له بالدخولِ ليقولَ كلمةً واحدةً لَم تقدِّمْ ولم تؤخِّر، وهي أنَّ مُديرَ التعليمِ في تلكَ المنطقةِ يساعدُ ابنَ عمِّه، وله هوًى معَ ابنِ عمِّه.

وقد سألتُ بعضَ الحضورِ: ماذا قال؟ وماذا طلبَ؟

فضحكُوا، وقالُوا: لم نفهمْ شيئاً سوَى كلمتِه الأخيرةِ، وكان اللهُ في عونِكم، وما أحلمَكم على هذا وأمثالِه.

ومراجعٌ آخرُ يطالبُ بفتحِ مدرسة، ويشكُو مِن أنَّ جماعتَه هجرُوا هجرتَه، فأكَّدتُ عليه أنْ يرحلَ معَهم. ولكنَّه ضحكَ وضحكْنا من سذاجتِه.

وكان بينَ هؤلاءِ معلمٌ يطالبُ بتَرشيحِه للتدريسِ في الخارجِ، وقد أفهمْتُه بمنهجِ الوزارةِ وضوابطِها في ذلك. وكان معلِّماً وقوراً، وأخاً كريماً، فقد سرَّتْه المقابلةُ، ووصلَتْني منه بعد أيامٍ الرسالةُ التاليةُ التي يقولُ فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ وكفَى، وصلاةً وسلاماً على عبادِه

الذين اصطفَى، وعلى من سارَ على دربِهم واقتفَى.

وكيلَ وزارةِ المعارفِ د/ عبد العزيز الثنيان حفظَه اللهُ

النفوسُ الزكيَّةُ تمْقتُ التزلُّفَ، وتَشْمَخِرُّ عن التصنُّع الرخيصِ، وتشمئزُّ من صُوَرِ النفاقِ البغيضِ، التي تتكرَّرُ كثيراً أمامَ أُولي المناصبِ وأصحابِ القرارِ في أيِّ دائرةٍ أو مؤسسةٍ.

سعادةَ الدكتورِ، لقد هيَّأَ اللهُ تعالَى لِي بالأمسِ رؤيةَ مجلسٍ من مجالسِكم المباركَة، تستقبلونَ فيها أفواجاً من المراجِعين، فسُرِرتُ بذلكَ أيَّمَا سُرورٍ، ونسيتُ ما أتيتُ من أجلِه

لولا نداءُ المنادِي. وهذا علامةٌ بارزةٌ إن شاءَ اللهُ تعالى على الإدارةِ الناجحةِ، وتواضعٌ وتفانٍ من أجلِ القيامِ بمصالحِ التعليمِ العامِّ الذي هُو العمودُ الفِقَريُّ لنهوضِ الأمةِ.

وأبشِّرُكَ ـ أيُّها المربِّي الفاضلُ ـ بقولِ المصطفَى ﷺ: «اللهُمَّ مَن ولِيَ مِن أمرِ أمَّتي شَيئاً فرفقَ بهِم فارفُقْ بِه». أخرجَه مسلمٌ.

سعادةَ الدكتورِ عبد العزيز، قد يخفَى عليك شيءٌ من المنافعِ التي تحدثُ بسببِ هذه المجالسِ غيرِ المنافعِ الإداريةِ الظاهرةِ، أعني بذلكَ أنَّ المراجعَ بعدَ مقابلَتِكم يحسُّ بالسُّرورِ يغمرُه،

ولو خرجَ خالـيَ الوفاضِ، خاسراً في بضـاعتِه، متحمِّلاً أعباءَ سفرِه، كما حدثَ للكاتبِ.

ولكُم أن تتصوَّرُوا الأضرارَ التي سـتتحملُها الوزارةُ لو حُـرِمَ المراجـعـونَ مـثـلَ هذه اللُّقـيـا المباركةِ.

وختاماً أسألُ اللهَ أن يباركَ في جُهودِكم وأنْ يسددَ الخُطى، ويجعلَ التـوفيقَ لكُم حَليفاً، وأنْ ينفعَ بكُم الجميعَ.

أخُوكُم (ح،س)

ومـــراجعٌ تطاول فـي القــول، وتمـادى في العتابِ، وصبرْنا عليـه، ولكنَّه عادَ وكتبَ رسالةً

يقولُ فيها:

سعادة الدكتور عبد العزيز المحترم

السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

أخِي مررتُ للسَّلامِ عليكُم ولأشكرَكم على حُسنِ تعـامُلِكم مَعي، وعدمِ مؤاخَـذتِي على ما بدرَ منِّي.

عـزيزي، أُكـرِّرُ شُكري لكُم، وأقـولُ: زادَكَ اللهُ حِلماً، ورزقَني مثلَه.

أخوك (ف.ع)

ومـعلمٌ قدَّم طلبَـه من خـلالِ قصـيدةٍ يقـولُ

فيها:

دَعْني أقـــدِّمْ للوزيـرِ خطـابِي

في موسمِ الخـيراتِ والإخـصابِ

أُهدِي السـلامَ من الجنوبِ تحـيـةً

ممزوجـةَ بعـبِـيـرِها الخـلاَّب

أنا يا وزيرَ العلمِ غـايةُ مـقصـدِى

أنِّي أعـيشُ بهـمَّـتي وشـبـابِي

فـأنا الطَّموحُ إلـى المعالي جـامحٌ

أسـمُـو عـلى الأقـرانِ والأترابِ

ودرستُ في قسمِ البلاغةِ حقبةً

وشهادةٌ عُليا برفقِ خطابِي

وجلستُ في بيتي رهينَ حكايةٍ

من غيرِ توظيفٍ بلا أسبابِ

قاسيتُ في دربِ الحياةِ مصاعباً

ومواقفَ الإحراجِ والإتعابِ

العيدُ أقبلَ والمطالبُ جمةٌ

وخريدة قالت بغيرِ ثيابِ

سئم الصحابُ توسُّلي وتخضُّعي

وتلطُّفي في موقفِ الإسغابِ

فـرفعـتُ أمري للوزيرِ تـوسُّمـاً

وببــابِه حــقــاً أنـختُ رِكــابِي

واقــرَأ سـلامي للمـليكِ تحـيــةً

وأشِــرْ عليـه بفــتحِ هذا البــابِ

والعــفـوُ يا هذا وحِـلمُك واسعٌ

ولتــعــذرُونا يـا أُولي الألبــابِ

ثم يقولُ: مُقدمُ هذا العرضِ شابٌّ، تزوجتُ في المرحلةِ المتوسطةِ، وعندِي من الأولادِ أربعةٌ، وقاسيتُ مصاعبَ الحياةِ طالِباً معلِّقاً الآمالَ فيما بعدَ التخرُّجِ.

وبعد التخرُّج جرَيت مُشَرِّقاً ومُغرِّباً بَحثاً عن الوظيفةِ فإذا بجميعِ الأبوابِ موصدةٌ، فرضيتُ مُكرَهاً بالجلوسِ مع الخوالفِ حتَّى ضاقتْ عليَّ الأرضُ بما رحُبَتْ، فرأيتُ لزاماً عَلَيَّ، ومِن بابِ التوسُّمِ أنْ أرفعَ لمعاليكم هذا العرضَ طالباً الالتحاقَ بحقلِ التعليمِ، وكُلِّي أملٌ في أنْ يتحقَّقَ المرادُ؛ فقد أنختُ ببابِكم الرِّكابَ في هذا الشهرِ الفضيلِ. أدامَ اللهُ إحسانَكم أيُّها الوالدُ العزيزُ.

المتخرج (م.ع.ي)

(١٨/ ٩/ ١٤١٣هـ)

ويتبينُ من رسالةِ هذا المعلِّمِ وقصيدته أنَّه يطلبُ الوظيفةَ مباشرةً فورَ تخرُّجه في الفصلِ الدراسيِّ الأولِ. والوزارةُ لا تُعينُ إلاّ في بدايةِ العامِ الدِّراسيِّ.

ولقد أبلَّغَتْه الوزارةُ بهذا الإجراء، وأحسَبُه الآن قد تعينَ، وأنَّه من بينِ العاملينَ في حَقلِ التعليمِ وفَّقَهُ اللهُ وأعانَه.

هذهِ صورٌ ممَّا يحدثُ معَ المراجعينَ وما أكثرَها!

١١- غُرفة المُدَخِّنِين

كان اللهُ في عونِ إخـوانِي مُديري المدارسِ؛ إنَّهم يجتـهـدون ويحـرصُـونَ عـلى الوِئامِ مع المعلِّمين، لكنَّهُم يُبتلَونَ أحـياناً بعناصرَ صَـعبة، ويلقَوْن مرارةً من بعضِ المعلِّمينَ، ولهذا يقلَقُونَ حينَ يأتِيهم معلمٌ جديدٌ.

وإنِّي أذكـرُ أنَّ واحـداً من خِيـرةِ مُـديري المدارسِ في مـدينةِ الريـاضِ، له خـبـرةٌ طويلةٌ، وتجرِبةٌ مـتميـزةٌ، وعلى قَدْر من الوَقار والحَـياءِ، وقَد حدثَ أنِ انتـقلَ إلَى مدرستِه مـعلِّمٌ جديدٌ، وكان هذا المعلمُ صعبَ القيادةِ، وصارَ بينَه وبينَ

ذلك المديرِ خلافٌ وجدالٌ تطوَّرَ ونما، ووصلَ إلينا في إدارةِ التعليم، وتعدَّانا إلى وزارةِ المعارفِ، ثمَّ تجاوزَها إلى مقامِ خادمِ الحرمين الشريفينِ حفظَه اللهُ.

إنَّها حكايةٌ طويلةٌ، وقصةٌ عجيبةٌ، وقضيةٌ مُرَّةٌ أستهلُّها بالأبياتِ الشِّعريَّةِ التي حاولَ نظمَها ذلكَ المعلِّمُ الصعبُ؛ يقولُ:

نقلُوني ومـــــا ليَ ذَنْبٌ

نقلُوني وأشعَلُوا القلبَ نارا

نقلُوني وأصدَرُوا الحكمَ ظُلماً

لا وفي غَيبَتي وسلَّمُوا لي قرارا

لوَّثُوا سُـمعَـتي بإصـلاحِ مَن

يسـتـحقُّ الجـزاءَ والشـنارا

نقـلُوني وبالـعطاءِ عـيَّـرُوني

لَيْـتَـهم عـيَّـروا بما فـيـهِ عـارا

يا وزيـرَ التُّـقَى بـكلمـةِ حقٍّ

جُـدْ علَـينَا واسـتـعِـدْ لي وَقَـارا

إنَّ هذه الأبياتَ توضحُ أنَّ هـذَا المعلمَ جرى نقلُه من هذه المدرسـة إلى مدرسـة أخرى، وهُو مـا حدثَ بالفـعلِ. فقَـد وُجِّـهَ هذَا المعلمُ لتلكَ المدرسـة الابتـدائيـةِ، واخـتلفَ مع مـديرِها منذُ

البداية، واتَّخذَ من غرفةِ المدخِّنينَ وسيلةً للنَّيلِ من مُديرِ المدرسةِ وتجريحِه.

وكانَ مصدرُ الخلاف ـ كما يذكرُ هذا المعلمُ ـ هو أنَّ بعضَ المعلِّمينَ يدخِّنُونَ، وأنَّ مديرَ المدرسة قامَ بتَخصيصِ غُرفة خاصَّة بهذه الفئة من المعلِّمين، وأنَّه خالفَ الأمرَ الساميَ القاضيَ بمنعِ التدخينِ في الدوائرِ الرسميةِ.

أمَّا مديرُ المدرسَة فكانَ عاقلاً، ولم يكُن يُدخِّنُ، ولكنَّه حينَ رأَى بعضَ المعلِّمينَ لا يستطيعونَ الصبرَ، وأنَّهُم يخرجونَ من المدرسةِ ويدخِّنُونَ في الشارعِ، وفي ذلك إحراجٌ لهم، وأنَّ هذه الصورةَ التي يراها المارَّةُ

والطلابُ لا تليقُ بدارِ علمٍ، وبيتِ تربيةٍ، فقد خصَّصَ غرفةً في الدَّورِ الأعلى للمدرَسةِ وأبلغَ أولئكَ المعلِّمينَ المُبتلَيْنَ بهذه العادةِ السيئةِ أنْ يدخِّنُوا فيها بدلاً من الشَّارعِ.

إلا أنَّ ذلكَ المعلِّم يرى غيرَ ذلكَ وأنَّه لا بدَّ من إغلاقِ تلك الغرفةِ وإجبَارِ المعلِّمينَ على عدمِ التدخينِ. كما ترجَّحَ لدينا أنَّ هذا المعلمَ يشعرُ أنَّه أكفأُ من مُدير المدرسةِ، وأنَّه أجدرُ منه؛ لأنَّه يحملُ مؤهِّلاً جامعياً بينما المديرُ مؤهِّلُه دونَ ذلك.

وفي نظرِي أنَّ هذه نظرةٌ ناقصةٌ؛ فالرجلُ يُقَوَّمُ بعقلِه وعلمِه ومعرفتِه، وليس بمؤهِّلِه،

ولا يعني ذلك التقليلَ من شأنِ التأهيلِ العلميِّ، ولكنَّ الأمورَ ليستَتْ على إطلاقِها.

فكم من شخصٍ مؤهَّلُه أقلُّ ولكنَّه أكفأُ وأجدرُ من آخرَ يحملُ مؤهِّلاً علمياً عالياً!

وهذا ما وجدْنَاه في الميدانِ، وفي تعاملُنا مع عددٍ من التربويِّين.

وتطوَّرَ الخلافُ، ووصلَ إلى إدارةِ التعليمِ وشُكِّلت لجنةٌ للتَّحقيقِ في الأمرِ وأوصَت اللجنةُ بنَقل المعلِّمِ؛ حيثُ رأَتْ أن المصلحةَ العامةَ تقتَضي نقلَه، وأيَّدَها في ذلك رئيسُ التَّوجيهِ التربويِّ، وكذلكَ مديرُ التفتيشِ الإداريِّ.

وتأمَّلتُ المعاملةَ، واتَّفَقتُ مع الجميعِ في رأيِهم، وأصدَرْنا قراراً بنَقله لمدرسة أُخرى قَريبة من المدرسَة التي يعملُ فيهَا، وذلك بتاريخِ ٢٧/ ٣/ ١٤٠٥هـ؛ حيثُ لا بُدَّ من الحزمِ والجدِّ، فلا يجوزُ أن يبقى الرَّجلان في مدرسة واحدة، ولا بُدَّ من نَقل أحدِهما، وكانتْ الإدانةُ للمدرِّسِ وليست للمُديرِ.

وحين صدر القرارُ ثارَتْ ثائرةُ ذلك المعلِّم، وقامَ وما قعدَ، وأتعبَنا بالمراجعة، وآذانا بالمطالبة، وأفهمْناه في إدارةِ التعليمِ أنَّ عليه المباشرةَ في مدرسته الجديدة وأنَّه لا مجالَ للمُراجَعة، ولا بد من تنفيذ القرارِ؛ فالمصلحةُ التعليميةُ تستوجبُ ذلكَ، والنقلُ في داخلِ المدينةِ.

وحين يئسَ من إدارةِ التعليمِ توجَّه إلى وزارةِ المعارفِ، وكتبَ خطاباً لمعالي وزيرِ المعارفِ آنذاك الدكتور عبد العزيز الخويطر، وعرضَ قضيَّتَه بأسلوبٍ بليغٍ.

وللَّه دَرُّه! فمع خِلافي معه إلا أنَّني أحترمُه ولا أُكنُّ له إلا التقديرَ والاحترامَ؛ فليس بينِي وبينه خلافٌ شخصيٌّ، وقد احتفظتُ ببعضِ ما كتبَ، وبشيءٍ مما دوَّنَ.

يقولُ لمعالي وزيرِ المعارفِ في استدعائِه الذي يشتكِي فيه إدارةَ التعليمِ:

أمَّا بعدُ:

فـقـد آتاكم اللهُ حـفظَ الـوصـيَّـة، ومنَحكم نصيحـةَ الرَّعيَّة، وألهمكم عدلَ القضـية؛ فإنَّكم مستودَعُ الودائعِ. فلقـد أَعطيتُم من أنفُسكم مَن هو تحتَكم مـا تحبُّونَ أن يعطيَـكم مَنْ فَوقَكم من العدلِ والرأفة؛ فـقَد أنعمَ اللهُ عليكُم بأنْ فوَّضَ أمرَنا إليكُم.

فإلى معالـيكم بعدَ اللَّه أرفعُ كُربةَ الشَّكوى، وأشكُو شـــدةَ البَلوَى ممَّن تســـهـيلُهم الـغلظةَ، وتيـسيـرُهم الفظاظةَ، وإيرادُهم علـينا الغمـومَ، وتوجيـهُهم إلينا الهـمومَ، وإصلاحُـهم للجاني بمعاقبةِ المعافى.

صاحبَ المعالي:

أفيدُكم بأنِّي نُقلتُ من مَدرستي بدونِ ذَنب جنيتُه نتيجةً لانحيازِ المفتِّش (م. ث) الذي أخرجَتْه إدارةُ تعليمِ الرياضِ ليحقِّقَ في شكايةِ مُدير مدرسةِ (ش. ب) الابتدائية لي؛ مقابلَ نصيحَتي له، ومكافأةً وتَشجيعاً على مخالفاتِه.

ويقولُ في استدعائِه كذلك: صاحبَ المعالِي.

أعيذُ حالي عندَكم بكرمِكم من واش يكيدُها، وأحرسُها بوفائكم من باغٍ يحاولُ إفسادَها. لذَا أرجُو من اللَّه ثُم من مَعاليكم

التوجيهَ ببقائِي في عملَي، وعَدمِ زعزَعَتي مع إيفاد مفتِّشٍ من الوزارة يحوزُ علَى ثقة معاليكم لتقصِّي جوانبَ القضيَّة، ومن ثَمَّ تطبيقُ النظامِ على من تثبتُ مخالفتُه، سواءٌ كان ذلك مديرَ المدرسةِ أم أنا.

وأسألُ اللهَ أن يجعلَ حظِّي منكُم بقدرِ وُدِّي لكُم، ومحلِّي من رجائكم؛ بحيثُ أستحقُّ منكُم. ولكُم خالصُ تحيَّاتي. واللهُ يُبقيكم ذُخراً للعلم والتعليم .. والسلام

مقدِّمُه

المدرسُ بمدرسةِ (ش.ب) الابتدائيةِ بالرياضِ

(ع.م.ز)

هـذا، وقد وجَّــهَ معالي الوزيـر، الـدكتـور عبد العزيز الخويطر بالتحقُّقِ ممَّا ذكرَه، والإفادةُ. وكــانَ أنْ شكَّلَتْ الوزارةُ لجنـةً تبـحثُ الأمــرَ وتسـتجـليه، وانتَـهَتْ تلكَ اللجنةُ بـتأييـدِ إدارةِ التـعليمِ في إجرائِهـا؛ ولكنَّه لم يقبلْ، ولجـأَ إلى المقامِ السَّـامي بعَد أنْ رفَع لمعـالِي الوَزير خِطاباً يقولُ فيه:

أرفعُ لمعالِيكم معروضِي هذا أشعرُكُم فيه أنَّ معـاملةَ التَّحـقيقِ في قـضيَّةِ نَقـلي صَدرَت إلى مـديرِ عـامِ التعلـيمِ بالرياضِ برقم (٤٢٠/ ٦)، وتـاريخ (٢٦/ ٧/ ١٤٠٥هــ)، وطـلـبتُ مـنـه مُوافـاتي بنتائجِ التحـقيقِ رسمـياً، ورفضَ ذلك

ترفُّعـاً على الحقِّ، واستهـتاراً بطالبـه، لذا أرجُو من الـلَّه ثُم من مـــعـــاليكـم تطبـــيقَ النـظامِ والعقوبات الصارمـة على كلِّ طرف في القضيَّة يستحقُّ الجَـزاءَ؛ إحقاقاً للحقِّ، وإزهاقـاً للباطلِ كمَا وعـدتُموني بذلك، وإلا أستمـيحُ معاليَكم عُـذراً في الإذنِ لي بالتـقدُّم إلَى مَـولايَ جـلالةِ الملكِ المفدَّى بتَـقديم هذه القصـيدة المتواضـعة، ومشفوعِهـا بطَرح قضيَّتي بينَ يدَيه. واللهُ يسددُ خطواتِكم على طريقِ الخيرِ والسلامِ.

«يا سليلَ المجدِ قل تمَّ يحفظكَ المعين»

يا فهـدُ رمزَ السعـدِ للرجالِ المخلصين

يا سنَدنـا يا فـخـرنا بكـلِّ أزمـانهـا

بعـــد ربِّي مـــا لنـا مَن يردُّ الظـالمين

غيـرُ نصرِك يا حمى الحقِّ في ميـدانِها

أنتَ حَسبي بعـدَ ربِّي وثُم بك نستعين

تنصف النفسَ الحـزينةَ من اللي هانهـا

واللهِ ما لي ذنب كـون النُّصح لك يا أمين

طالبك في حـجـتي تـفـتـهم برهانهـا

النُّـصحُ لـلَّه ثُـم لإمـــــامِ المسـلمـين

حـاربتـني إدارةُ العِلم هي وأعـــوانهـا

شـجّعَت ثم دافـعَت عن خَطايا الجـانحين

والبـري مـذنب ومـعتـرفـة بلسـانهـا

كيف مخلص يجـعلونَه سواة المذنبين

والمخـالف عندهم مـخلص لأوطانهـا

أرتجي جلسة أمـامك مع الخصم المبين

يا بو فيصل طالبك يا حمى حدانها[١]

يا سليل المجـد قل تم يحـفظك المعين

من صـروف الدهر ويعز بك سكانهـا

بالصلاة أخـتم كلامي على طه الأمين

عد من حج الفـريضة وطاف أركـانها

وهذه قـصـيدةٌ نبـطيةٌ، وليـست من الشِّـعـرِ الفصيحِ، وقد أرادَ بها تأييدَ ما يراُه ويعتقدُه.

(١) حدانها: أي حدودها.

واستمرَّ الرجلُ في المراجَعة والمُطالبةِ حتَّى إنَّ وكيلَ الوزارةِ آنذاكَ أخي الدكتور سعود الجماز اتصلَ بي هاتفياً أكثرَ من مرةٍ يتذمَّرُ من ذلكَ الرجلِ، ويتزفَّرُ من إلحاحِه ومطالبتِه. وكنتُ أقولُ له صَبراً، أمْرُنا للَّه، وماذا نعملُ؟! هذا قدرُنا، وهذا واقعُنا، ولا بدَّ من الصَّبرِ ولا بدَّ من الحزمِ، ولا يمكنُ التراجعُ.

وأظهرَ معالي الدُّكتور الخويطر وزيرُ المعارف آنذاك تذمُّرَه من المَذكُور. ورُوِيَ لي أنَّه زارَه أكثرَ من مرَّة، وأنَّه زجرَه ونهرَه، ولكنَّه يعودُ، ويكرِّرُ المطالبةَ، ويقدِّمُ الاستدعاءَ تلوَ الاستدعاءِ.

وقالَ معاليه: لقد بلغَ بهذا المعلِّم أن صارَ يعرضُ قضيتَه على بعض وُجهاء المجتمَع، ويطلبُ منهُم الشفاعةَ والمناصرةَ، وأنَّ معاليه كان ذات أسبوعٍ في قصرِ الضيافةِ في جدةَ، وفوجئ باتصالٍ هاتفيٍّ في الاستقبالِ بأنَّه يوجدُ مَنْ يرغبُ مقابلتَه. وعندما نزلَ رأَى هذا المعلمَ ومعه مجموعةٌ من رجالِ الحسبةِ، وشرعُوا يزكُّونَ الرجلَ، ويطالبُونَ بإنصافه. وقد تعجبَ معاليه منهم، وتعجَّلَهم وأفهمَهم أنَّه تحرَّى وتأكَّدَ من حقيقةِ الأمرِ.

وأظنُّ أن معاليه قد نهرَ ذلك المعلمَ، وأغلظَ عليه في القولِ أمامَ أولئك الرجالِ.

وإنِّي لأعجبُ من ذلك المعلمِ، فمع كلِّ ذلك الردِّ والصَّدِّ يراجعُ ويجادلُ، إلا أنَّه باشرَ في المدرسةِ الجديدة؛ لأنَّه خافَ من الحسمِ عليه ومن فَصله، ولكنَّه استمرَّ في المراجعةِ والمطالبةِ والشفاعةِ بهذا وذاكَ.

وأذكرُ أنَّه زارَني ذاتَ مرةٍ في المكتبِ رجلٌ عرَّفَني باسمه، وأنَّه عَمٌّ لذلكَ المعلمِ، فحمدتُ اللهَ، وقلتُ: جاءَ الفرجُ، جاءَ السعدُ، لعلَّه يُقنعُ ابنَ أخيه. وما إن بدأتُ في الحَديثِ، وعرفَ أنِّي أرغبُ في مساعدَته لإقناعِ ابنِ أخيه، حتَّى بادرني الرجلُ بقَوله: إنَّ عبدَ اللهِ ـ وهو اسمُ ذلك المعلم ـ إنَّه جُنيهٌ من الذهبِ، تراه مع كلِّ

الجهاتِ يُبرُق، وفي كلِّ الأحوالِ ينفعُ، وإنَّه مظلومٌ، ولا بدَّ من إنصافه. ووجدتُ أنَّ العمَّ أصعبُ، وأنَّ الشيخَ أقسَى، وقد جاءَ لمساعدة ابنِ أخيه. ولهذا أطرقتُ، وتصبَّرتُ، وتركتُه حتَّى أنهى كلامَه، ثُم انصرفَ، وسألتُ اللهَ الصبرَ والحِلمَ.

واستمرَّ الرجلُ في الشَّكوى، ووصلَ إلى خادمِ الحرمين الشريفين، الملكِ فهدِ بنِ عبدِ العزيزِ ـ حفظه اللهُ ـ وعرضَ مظلمتَه، وأظنُّه قدَّمَ قصيدتَه النبطيةَ الآنفةَ الذكرِ.

وحدَّثني مَنْ أثقُ به أنَّ خادمَ الحرمين الشريفين قالَ في مجلسٍ حافلٍ: إنَّك تشتكي

وزارةَ العلمِ والمعـرفةِ ووزيرَها مـعالي الدكـتور الخـويطر من خِـيـرةِ الـرجـالِ. وأشـادَ به وأثنَى عليه.

قــالَ الراوي: ولقــد تمنَّى الحــضــورُ ذلك الإطراءَ، وغبطُوا الخويطرَ على تلك الإشادةِ.

وقـالَ خادمُ الحـرمَين: عليكَ أن تراجعَ وزيرَ المعـارفِ وأنْ تقبـلَ ما يقـرِّره، وإنْ شـئتَ طلبْنَا المعاملةَ، ونظرْنَا في الأوراقِ، فـإنْ كنتَ مظلوماً أنصفْناكَ، وإنْ كانَ خلافَ ذلكَ فصلْناكَ.

وبعـدَ هذا الموقفِ الحـازم، ثـابَ ذلكَ المعلمُ إلى رُشـدِه وهدأتْ حـالُه واسـتـرَحْنا من قـولِه وقِيله، وطلبَ النقلَ مـن إدارةِ التعليمِ بالرياضِ

إلى إدارةٍ أُخرى، واستجبْنا له وباركْنا، بل واللهِ عيَّدنا وصفَّقنا.

هذا وإنِّي أتَذَكَّرُ أنَّني قد سئمتُ العملَ من مراجعَته، ومللتُ الوظيفة من ترددُّه، وكرهتُ إدارةَ التعليمِ بسببِه، وحمدتُ اللهَ على التأنِّي والتأمُّلِ، فلمْ يَصدُرْ قرارُ نقله إلا بعدَ تثبُّتٍ وتحقيقٍ. ولهذا لمْ ينقُضْ ما تقرَّرَ، ولمْ يُلغِ ما صدرَ.

هذا وإنِّي وقد تركتُ وزارةَ المعارف، وابتعدتُ عن العملِ الرسميِّ، أقولُ لو تكررَ مثلُ ذلك المعلمِ لهربتُ من العملِ؛ فالنفسُ لها طاقةٌ، والمرءُ له مشاعرُ، لكن أحمدُ اللهَ أنَّ هذه

الحالةَ كـانتْ من النوادرِ التي أزعجَـتْني بالأخذِ والردِّ والسؤالِ والجوابِ.

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon

١٢- صِغار السِّنّ

كلُّ عملٍ بشريٍّ يشوبُه الخللُ، وكلُّ قرار يستحيلُ كمالُه؛ فالكمالُ للَّهِ وحدَه. لكن لا بدَّ من تَنظيمِ أمُورِ الأمَّةِ، ووضعِ الضوابطِ والتعليماتِ التي يعملُ بموجبِها المنفِّذُونَ لتلكَ القراراتِ.

وفي بدايةِ كلِّ سنةٍ يضجُّ المسؤولونَ في وزارةِ المعارفِ من كَثرةِ المراجِعينَ، ويَسأمون من المطالِبينَ بقبولِ أبنائِهم الصِّغارِ.

وكانت الإجراءاتُ تَقتضِي تفويضَ مُديرِي المدارسِ صلاحيَّاتِ القَبولِ لمن أكملَ ستَّ

سنوات، ويجوزُ التجاوزُ بـثلاثة أشهُر لمن يرونَ أنَّ لديهِ قدرةً واستعداداً ذهنياً لمجاراةِ زُملائه.

ولكنْ يأتي من يـراجعُ لقَـبـولِ ابنِه الذي لم يبلُغ الخامسةَ وتسعةَ أشهُرٍ.

ويتوالى إلحاحُ أولئكَ المطالبينَ، ويغـضَبون، وربَّما يشـتمـونَ. وكان اللهُ في عَـونِ المستـقبلِ لهُم، إنَّهم كالجَـمرةِ المُحرِقة، وقـد سقطَتْ على كفِّ المرءِ، فتراهُ يقذفُ بها أقربَ الناسِ إليه.

وأولئك المراجعـونَ يُحرجُونَ مـديرَ المدرسة فيحَوِّلُهم إلى إدارةِ التـعليمِ، ويتأذَّى منهُم مديرُ التعليمِ، فيتحـوَّلونَ إلى الوزارةِ، ويشفعونَ بهذا وذاك.

وكنتُ أرى المرونةَ في هذا الأمرِ، وأن تَدعَ الوزارةُ المجالَ لمدُيري المدارسِ، فمن درَسَ في رياضِ الأطفالِ وأجادَ القراءةَ والكتابةَ يُسمحْ له بالدراسةِ في الصفِّ الأولِ الابتدائيِّ، ولو كان عمرُه خمسَ سنواتٍ وشهوراً.

بَل كان رأيي أن يُتركَ للمدارس إجراءُ مقابلة يسيرة تُقاسُ بها قدراتُ الطفلِ الذي بلغ خمسَ سنواتٍ فما فوقَ، ومن ثَمَّ يتقرَّرُ قبولُه أو عدمُه.

وكنتُ أعملُ بهذا الإجراءِ خلالَ عمَلي في تعليمِ الرِّياضِ، وفترةً من عَمَلي في وكالة الوزارة، حيث أوجِّهُ مُديري المدارسِ بإجراءِ

مقابلاتٍ لأولئك الأطفالِ، ثُم تقريرُ ما يرَونَه.

ولكنْ طرحَ بعضُ التربويِّين آراءً أُخرى ورأَوْا الالتزامَ بالمدةِ، وعدمَ التجاوزِ ولو يوماً واحداً.

وأجرتِ الوزارةُ دراسةً عَن العَالم من حولِنا، وكيف يتمُّ القَبولُ عندَهم؟ وما السنُّ المحدَّدُ؟.

وتبيَّن أن أغلب الدولِ تلتزمُ بالسنواتِ الستِّ. وأتذكَّرُ أنَّ معالي وزير المعارف الأخِ الكريم د/ محمد بن أحمد الرشيد يذكرُ أنَّه سألَ وزيرَ التعليمِ الكورِي عن هذا الأمرِ؛ فقد

ضاقَ معـاليه ذَرعاً بهذا الجـانبِ، ولقيَ عَنتاً من هذا الإجراءِ، ورغبَ معرفةَ ما لدى الآخرينَ.

وكان جـوابُ الوَزير الكوريِّ أنَّهم يلتـزمونَ بالسنِّ المحـدَّدةِ، ولا يسمَـحونَ ولو بيَـومٍ واحدٍ دونَ السنواتِ الستِّ.

والسؤالُ نـفسُه سـألناهُ في اليابانِ وبريطـانيا وأسبانيا وفي ماليزيا وفي سنغافورة.

وكـان الجـوابُ أنَّـهم يلتـزمـونَ بـالسنواتِ الستِّ.

ومن الصّورِ التي أتذكـرُها عن المراجِعينَ في

هذا المجالِ أنَّ واحداً جاءَ، وقال بصَوت عالٍ أمامَ الجميعِ: ما لكم تضيِّقونَ على الأمَّة؟! اتَّقوا اللهَ، وكونُوا أهلَ سماحةٍ وسهولةٍ، ويسِّرُوا ولا تعسِّروا.

إنَّ ابني ينقصُ عمرُه يوماً واحداً، ومع ذلك تأبونَ قبوله، وتمنعونَ حتَّى المدارسَ الأهليةَ من تسجيلِه! ماذَا نعملُ معكم؟ هل أنتُم أرحمُ منَّا بأولادِنا؟! وهل أنتُم أشفقُ عليهم منَّا؟!

قلتُ له وبصَوتٍ مرتفعٍ وأمامَ المراجِعين؛ لكَي يسمَعوا الجوابَ: إنَّ المنعَ لمصلَحتِه التعليميةِ فالدراساتُ التربويةُ تُوصِي بالتريُّثِ،

وعدمِ التسرُّع، ثُم إنَّ الفارقَ ليس يَوماً واحداً.

قال الرجلُ: أُقسمُ باللهِ أنَّه يومٌ واحدٌ.

قلتُ: لا تُقسمْ؛ فأَنا أعرفُ أنَّه أكثرُ من ذلك.

قال: لستَ أدرى منِّي بولدي؛ أنا الذي أنجبتُه، وأنا الذي ربَّيتُه.

قلتُ لأحدِ المستخدمين: أعيدوا أوراقَه. بعد أن شرحتُ عليها للقسمِ المختصِّ.

وبعد برهةٍ جاءت الأوراقُ ونظرتُ في تاريخِ ميلادِه وإذا النقصُ واحدٌ وتسعُون يوماً.

قال الرجلُ: كنتُ أعتقدُ أنَّ الشرطَ خمسُ سنواتٍ وتسعةُ أشهرٍ.

قلتُ: الشرطُ ستُّ سنواتٍ، ولمديرِ المدرسةِ التجاوز يوماً ويومين، وأسبوعاً وأسبوعين، وشهراً وشهرَين، وحتَّى ثلاثة أشهرٍ.

قال: ولكنِّي أريدُ يوماً فوقَ ذلك.

قلتُ: ومع المُراجِعينَ آخَرُ يريدُ يومَينِ، وثالثٌ يريدُ ثلاثةً وهكذا.

وصورةٌ أخرى، جاء أبٌ، وقال: إنَّ مُديرَ المدرسةِ رفضَ قبولَ ابنِه، وأنَّه بقي على القَبولِ

نصفُ ساعة، وذلك أنَّ شهادةَ الميلادِ مدوَّنٌ فيها اليومُ والساعةُ.

قُلتُ لذلك الرجلِ ممازحاً: هلاَّ تقدَّمتَ، ولماذا تأخَّرتَ؟

قال الرَّجلُ وهُو يضحكُ: لو كنتُ أعلمُ بقسوتكم لما داعبتُ أمَّه، ولو كنتُ أعرفُ فظاظتكم لما لاعبتُ والدته، ولو كنَّا نعرفُ أنَّ هذا سوف يحصلُ لعجَّلنا بهِ.

قلتُ: باركَ اللهُ لكُما، وتأفَّفتُ من مديرِ المدرسةِ وعدمِ مرونتِه؛ حيثُ لو كنتُ المديرَ لقبلتُه. وشرحتُ على استدعائِه بقبُوله

والتجاوزِ عن هذا النقصِ المضحكِ.

ومـــراجعٌ آخَـرُ تركَ ابـنَه يتكلمُ، وأمـــره أن يتحدثَ، وبالفعلِ كان الصغـيرُ جَريئاً، فتحدَّثَ بكلامٍ أحـرجَنا، وقـال: لماذا تـأبونَ أنْ أتعلَّمَ؟! ولماذا ترفـضونَ أن أقـرأَ؟! هل تريدونَ أن أبقى في الشارعِ، أو ترغبـونَ أن أنامَ في البيتِ، أو أنْ أجلسَ أمامَ التلفزيونِ؟!

وقـد عجـبتُ من جُرأتِه، وسـرَّتني بلاغتُـه، وأعجـبَتْني فصـاحتُـه، وأعلنتُ عَجزي أمـامَه، وتجـــاوَزتُ كلَّ الأنظـمـــةِ، وتـخطَّيـتُ كلَّ التعليـماتِ، وأمرتُ بقـبولِه، وكـان سنُّه خمس

سنواتٍ وستَّة أشهرٍ.

إنَّ هذه الصُّـورَ هـي التي جـعلَتْـني أنادي بالمرونةِ وعدمِ الالتزامِ الحـرفيِّ بالسنِّ، وأنْ نتركَ المجـالَ لمُديري المـدارسِ؛ فـهـم أدرى، وهم المباشرونَ، وكان اللهُ في عونِهم.

١٣- ودمعت عيني

شرعتُ في دراسَة بعض الأوراق الرَّسميَّة يومَ الخميس الموافق ٧/ ٢/ ١٤١٢هـ، حيثُ درجتُ على قضاء بعض السَّاعات في المنزل لإنجاز ما لا أستطيعُ إنجازه في المكتَب. وبينما كنتُ أنظرُ في المعاملات أقبلَ طفْلي فهدٌ، وكان ابن ثلاث سنين، وقبَّلني وقبَّلتُه، وضمَّني وضمَمْته، وجلس بجانبي يناغيني وأناغيه، يُداعبُني وأداعبُه، وفجأةً خرجَ الصغيرُ، وأخذتُ معاملةً كتبها صاحبُها بأسلُوب أدبيٍّ، دوَّنَ فيها معاناته، وسطر فيها آلامه، وندبَ حظَّه، وشكا وضعَه؛ فهُو معلمٌ طموحٌ، ومربٍّ غيورٌ، ينشدُ

مـجداً، ويـطلبُ عُلُواً، ويرى أنَّه من الكفـاءات التي حُجـبتْ عنها القـيادةُ، وأنَّ ذلكَ غـيرةٌ من رؤسـائه، وخوفـاً من نُبـوغه، وقلقـاً من مَلَكَتـه البـيـانيَّـة. وترجَّحَ لديَّ أنَّ هذا المعـلمَ طمـوحٌ وجـريءٌ، ولم يَجد التـشجـيعَ والدعمَ، ثُم إنَّه شاعرٌ متمكنٌ. وقد أرفقَ قـصيدةً جميلةً، شدَّني أسلوبُها، وجـذبَني منهجُهـا، وسرَّني عرضُـها؛ فـقَد خـاطبَ الشاعـرُ طفلتَه، فـتذكَّـرتُ طفْلي الذي كانَ يداعـبُني منذُ قَليل، وصارَت مـعاناتُه ماثلةً أمامي، شاخصةً قُدَّامي، ولهذا تخيَّلته يبثُّ صغيرتَه أحزانَه بعدَ أنْ ضاقَتْ به السبلُ ويشكو لها آلامَه بعد أن حارَ حيثُ يقولُ:

طفلتي تشتكي عُـزوفَ أَبيها

عن مُجـاراتها فتـسألُ ريمَه[١]

ما الذي سبَّبَ الأسـى لأَبيها؟

مَن تُرى مَن تُرى يكونُ غـريمَه

لوَّحَ الدَّهر وجنَـتَـيْـه بحُـزن

أنكرَ الشَّعرُ صَمـتَه ووجومَه

هكذا بثَّت العـرائسُ شكوى

زفــرَت بعـدها بـآهٍ أليـمــه

ثُم فـاضَتْ عـيونُهـا بدمُـوع

أعـقبَـتْهـا بصَرخَـة مكتومَـه

(١) ريمة: يقصد لعبة الطفلة.

ثُم نامَتْ عـلى أزيزِ نَشِـيجٍ

خـائرٍ فيـه نقـمـةُ المحرومَـه

قبلُ كانَتْ تفيضُ حُـبّا وسَعداً

وحُبوراً فكيفَ أمسَت سقيمَه

إنَّهـا حين تشـتـكي وتُعـاني

من رُؤَاها واللهِ غـيرُ مَلومَـه

أصـبحَتْ بينَ أمِّـهـا وأَبيهـا

طفلةً في شُعور أخرى يتيمَه

ولَـم أتمـالــك دمعَتــي حـين قـال مُخـاطباً

ابنتــه الصَّـغيـرة :

لا تكونـي مــعـيـنةً لزمــانٍ

هدَّني بالمشــاعـر المهَـزومَـه

فدَعي الحـزنَ لي فقلبُك غضٌّ

واستَزِيدِي في وجنَتَيك النعومَه

قدرٌ أن أعيشَ ظُلمـاً تعِيشِين

مَــعي في آثارِه مـظلومَــه

فارفَعي كفَّك الصـغيرَ نَدعو

منصفَ المظلُوم عدَل الخُـصومَه

عالمَ السِّـرِّ لم يَغِبْ عَنه سِرٌّ

وحـده عالمٌ بما في المَشـيمَـه

يُلهم العدل مَن لَـه الحُكمُ فينَا

ثقَـة نصَّـبَـتـه فـينا الحكومَـه

وقـد اهتزتْ مـشاعـري، وفاضَتْ دمُـوعي، ورأيتُه مـتألِّماً، وتصوَّرتُه باكيـاً، ونظرتُ إليه من بُعد ونحنُ عنه غافلـونَ، وبأَلَه جاهلونَ. وكيف سـأقـابلُ هذا غـداً على الصِّـراط؟! وكـيفَ سأُحـاججه يومَ الحـساب؟! فـأنا من المسؤولينَ عَن إنصافه، وأنا منَ المحاسَبينَ عن إهماله.

ووضعتُ الأوراقَ وأطرقتُ برأسي، وارتفقْتُ بكفِّي، وأعدتُ قراءةَ القَصيدَة أكثرَ من مرَّة، وهي معَنونَةٌ بعُنوَان له رمزٌ ومعنًى، وهدفٌ ومرمًى (هل مِن إنصاف؟).

وبينما كنتُ سارحاً في هُموم هذا المعلِّم تساءلتُ: ما لي وهذا العناءُ؟ وأين أنا وهذه الهمومُ؟ وهَل من نجاة وسَلامة؟ وكيف الخلاصُ من الملامة؟ وقلتُ: حنَانَيْكَ ربَّاه، أَرني طريقَ الهُدى، ورُحماكَ إلَهي، أرشدْني إلى مَنهَج الإنصاف، ولُطفَك ربِّي، دُلَّني على دُروب العَدل.

وأثناء ما كنت في هذه المعانة، وهذه الهموم. عاد صَغيري فهدٌ فجأةً، وناولني كتاباً أخذَه بالقُرب منِّي وفتحَه، وكان ديوان الشَّاعر بدَوي الجبَل، وإذا بالعَين تقعُ على قَصيدَته عن الطُّفولة الَّتي يقولُ فيها[١]:

وَسيماً مِن الأطفَال لَولاه لم أخَفْ

علَى الشَّيْب أن أنَأى وأنْ أتغَرَّبا

تودُّ النجوم الزُّهرُ لَو أنَّها دُمي

ليختارَ منهَا المُترفاتِ ويلعبا

وعِندي كنوزٌ مِن حنانٍ ورَحمةٍ

نَعيميَ أنْ يغرَى بهنَّ وينَهبا

(١) ديوان بدوي الجبل: ص١٦٠ .

يجورُ وبعضُ الجورِ حُلوٌ محبَّبٌ

ولم أرَ قبلَ الطِّفل ظُلماً محبَّباً

ويغضبُ أحياناً ويرضَى وحَسبُنا

من الصَّفو أنْ يرضَى علَينا ويغضَبا

وإنْ نالَه سُـــقمٌ تمنَّيتُ أنَّني

فداءً له كنتُ السقيمَ المعذَّبا

ويوجزُ فيما يشتَهي وكأنَّه

بإيجازِه دلاَّ أعادَ وأسهَبا

يزفُّ لنا الأعيادَ عِيداً إذا خطا

وعِيداً إذا ناغى وعِيداً إذا حبا

كزغبِ القطـا لو أنَّه راحَ صاديًا

سكبتُ له عيني وقلبي ليشربا

وأُوثرُ أنْ يروى ويشبع ناعمًا

وأ ظمأ في النُّعمَى علَيه وأسغَبا

وأَلثمُ في داجٍ من الخَطب ثغـرَه

فأقطفُ منهُ كَوْكباً ثم كوكبا

ينامُ على أشواق قـلبي بمَهده

حَريراً من الوَشْي اليمانيِّ مُذهبا

وأُسدلُ أجـفاني غطاء يُظلُّه

ويا ليتها كانتْ أحنَّ وأحْدبا

وحملَني أنْ أقبـلَ الضَّيمَ صَابراً

وأرغبُ تحْناناً علَيـه وأرهبـا

فـأعطيتُ أهواءَ الخُطوبِ أعِنَّتى

كَما اقتدتَ فَحلاً مُعرقَ الزَّهْو مَصعبا

تأَبَّى طويلاً أنْ يُقـادَ وراضَـه

زمانٌ فراخى من جمَـاحٍ وأصْحَبا

تدلَّهتُ بالإيثارِ كَهـلاً ويَافعاً

فـدلَّلْتُـه جَـداً وأرضيـتُـه أبا

وتَخفقُ في قَلـبي قلوبٌ عديدةٌ

لقد كان شِعْباً واحداً فتشعَّبا

ويا ربِّ من أجْل الطُّفولَةِ وحدَها

أفِضْ بركاتِ السِّلمِ شَرقاً ومغرِباً

وصُن ضحكةَ الأطفَـال يا ربِّ إنَّها

إذا غرَّدَتْ في مُوحشِ الرَّمل أعشبَا

ويا ربِّ حـبِّبْ كلَّ طـفْل فـلا يرى

وإنْ لجَّ في الإعْنَاتِ وَجـهاً مُقـطِّبا

وهيئْ له في كلِّ قلب صَبابةً

وفي كلِّ لُقيَـا مَرحَباً ثُم مَـرحبا

هذا وقد أوردتُ هذه القصيدةَ الرقيقةَ؛ لأنها

تصـوِّرُ الطفولـةَ أجملَ تَصـوير. فـمَن لا يهتـزُّ للطُّفولة؟!

ومعلِّمُنا عرضَ قضيَّتَه من خلال طفلته؛ فقد ناجـاها فـهـزَّني، وناغـاها فـأبكاني، وكـان أنْ أرسلتُ له رسالةً، أشدتُ فيهَـا ببلاغته وعبَّرتُ فيـها عن تأثُّري بمُشكلته. وكـان من جرَّاء ذلك أنْ قـابلنـي، وصـارتْ بيني وبينـه مـراسـلاتٌ. وانتهى الأمرُ بإنصَافه، وقـضاء حاجَته. وكان ممَّا قاله في إحدى رسائلِه إليَّ:

وصلتْني رسـالتُكم الكريمةُ، قـرأتُهـا خاليـاً، وقـرأتُهـا ومعي صـغـيـراتي، قـرأتُها مـسـروراً

فزادتْني سُـروراً، قرأتُها محزوناً فـأبدلت حُزني سروراً، قرأتها... قرأتها.

قـرأتُهـا ولم أسـتطعْ وصفَ تأثيـرها على مشـاعري، قرأتُهـا فمـا عرفتُ مبـعَثَ سُروري فيهـا، أمبعثُه استـجابةُ مسؤول تفهَّم قـضيةً؟ أم جـاءَ سروري من مـشـاركـة زميل في الـتَّربيـة لهـمومي؟ أم كـان سُـرُوري بمعرفـة أَديب؟ أم باكـتسـاب صـديق؟ أم يكونُ مـبعثُ سُـروري الإعـجابَ والإطراءَ فـيـها لـشعـري؟ أم يكونُ ذلك السُّرورُ نتيجةً لراحة نفـسيَّة أعقبتْ مواساةَ مسؤول زميل صديق أَديب، سـرورٌ يبعثُه ويشعُّ ويزدادُ بعـباراتها، ويشعُّ فـي أسطُرها وفقَـراتها

ليحتَويني كياناً ويغمرُني رُوحاً بالرِّسالة كلِّها.

أبا تُركي، كُنيةٌ تحبُّها أنتَ، وأنا أحببتُ فيها التواضُعَ المنبعثَ من الثِّقة، ومن سلامة الطَّويَّة في زمن يتسابقُ فيه النَّاسُ على الألْقابِ، ويتزاحمون على أسبابها.. زمن حمل الألقاب مَنْ شوهها فلتكن أبا تركي كبيراً بثقتك عظيماً بتواضعك.

ودام التواصل مع ذلك المعلم وصار صديقاً وفياً وأخاً كريماً، ولعله يقرأ هذه السطور فيشاطرني الرضا ويبادلني المراسلة.

١٤- يكتب عن المدرس

يُروى أنَّ عبدَ المَلك بنِ مَرْوانَ قال: ما جلَّلَني الشيبُ وغيَّرَ سوادَ شَعرِي إلا عَرضُ عقلي على الناسِ كل أسبوعٍ.

ويقصدُ بذلك خطبتَه التي يُلقيها كلَّ جُمعةٍ على المصلِّين.

هذه مشاعرُ خليفةِ المسلمينَ، وخواطرُ الإمامِ والرَّاعي الذي له المهابةُ والسلطةُ، ومع ذلك يحسبُ للمجتمَعِ حسابَه، ويخشى نقدَ السامعينَ، وعيبَ المتلقِّين.

وذلكُمُ المعلِّمُ فهلْ يتأمَّلُ عقلَه وعلمَه الذي

يعرضُـه على طلابِه باستـمرارٍ؟ أولئك الطلابِ الذين يقوِّمونَه، ويزنُونَه، ويعـرفونَ غزارةَ علمِه وتمكُّنِه وقدرتِه.

إنَّ الطلابَ مهما اخـتلفَتْ قدراتُهم يُقَوِّمُونَ أساتذتَهم ويُجلُّونَ المتـمكِّنَ من مادَّتِه، الحريصَ على العلمِ والمعرفةِ، الراعيَ للتربيةِ والسلوكِ.

وإنَّ التقـويمَ يجري لكلِّ المجـالاتِ التربويةِ التي يمارسُـــها المعلمُ فـي الفـصلِ كـــالإلقـاءِ، والصَّوتِ، وسلامةِ اللـغةِ، وجودةِ الخطِّ، ورقابةِ الطلابِ، ومعرفةِ سلوكِـهم، والحوارِ والمناقشةِ، والتمكن من المادة.

كلُّ هذه الجوانبِ يتمُّ رصدُها، ويَجري تقويمُها، ويحكمُ الطالبُ والمشرفُ التربويُّ على المعلمِ من خلالِها.

ويلزمُ القائمينَ على التعليمِ التنبهُ لتلكَ الجزئياتِ، وتذكيرُ المعلِّمينَ بينَ الحينِ والآخرِ بهذه المجالاتِ؛ فالنفسُ إذا ذُكِّرَتْ تنبهَتْ، وإذا أُشعرتْ تعدلتْ.

وذلكُم الخليفةُ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ يحسبُ للسامعينَ حسابَهم، ويفكرُ في المتلقِّينَ، ويخشى نقدهم.

وإذا اهتمَّ المرءُ بذاته قوَّمها، ورفع من كفاءتها، وتجنَّبَ الأخطاءَ، وابتعدَ عن الخللِ،

وعملَ على إصلاحِ نقصِه وتصويبِ عيبِه.

وأحياناً يقعُ الإنسانُ في خطأ غيرِ مقصود، ويحاسبُ على عيبٍ ليس فيه، ولكنه هُوَ السببَ في ذلك.

ومن ذلك أنَّه وردني في ذاتِ يوم خطابٌ موقَّعٌ من المدرسِ (ع.م.ح) ،وتخصُّصُه لغةٌ عربيةٌ، يتظلَّمُ فيه من عدمِ تلبيةِ رغبتِه في الانتقالِ من منطقَة الرسِّ إلى منطقَة عنيزةَ أو القَصيم، وقد فوجئتُ بكَثرةِ الأخطاء، ورداءةِ الخطِّ، وركاكةِ الأسلوب، وطلبتُ من مُديرِ مكتبي أنْ يأذنَ لهذا المعلمِ بمقابَلَتي، ولكنَّه ذكرَ أنَّه سجّلَ الخطابَ برقم: ١٠٣٥٨، وتاريخ

٣/ ١٢/ ١٤١٣هـ وذهب. وعند ذلك أغفلتُ أمرَ النقلِ، وأحلتُ خطابَه إلى التوجيهِ التربويِّ بالوزارةِ، ودونتُ الأسئلة التالية:

١- ما اسمُ الكليةِ التي تخرَّجَ فيها المذكورُ؟ وما اسمُ الجامعةِ؟

٢- هل المذكورُ كتبَ هذا الخطابَ بنفسه أو كتبَه غيرُه؟

٣- مَنْ أعضاءُ اللجنةِ التي قابلَتْه، وأجازتْ ترشيحَه للتدريسِ؟

٤- أين تقاريرُ إدارةِ التعليمِ، وما اسمُ الموجِّه التربويِّ الذي قوَّمَه، وكيف اجتاز سنةَ التجربةِ؟

وسارت المعاملةُ في طريق آخرَ، وهو النظرُ في كفاءةِ الرجلِ، بدلاً من نقلِه. وصار المسكينُ في موقفِ الدفاعِ عن نفسِه، والإثباتِ لكفاءتِه، ومن موجِّه لآخَر، ومن الوزارةِ لإدارةِ التعليمِ، ثُم تبيَّنَ أنَّه متخرِّجٌ في كليةِ اللغةِ العربيةِ بجامعةِ الإمامِ محمدِ بنِ سعودٍ الإسلاميةِ، فرعِ القصيمِ، وأنَّه اجتازَ سنةَ التجربةِ بتقديرٍ عامٍّ (٩٩٪)، وأنَّه متمكِّنٌ من مادَّته، وأنَّ لغتَه جيدةٌ، وخطَّه أجودُ. واستُدعيَ في الوزارةِ للتأكُّدِ ممَّا وردَ. وحضرَ إلى الوزارةِ يومَ الأحَدِ الموافقِ ٥/ ٣/ ١٤١٤هـ، وكتب أمامَ اللِّجانِ، وقرأَ أمامَ الموجِّهينَ، ونوقشَ وسُئلَ، وجرى الاطِّلاعُ على

دفترِ تحضيرِ المدرسِ المذكورِ، وتمَّ التأكُّدُ من خُلُوِّه من الأخطاءِ، واتَّضحَ أنَّ الخطابَ الذي قُدِّمَ إلى وكيل الوزارة كان مكتُوباً باسمِه، ومُوقَّعاً عنه، وأنَّه أنابَ قريباً له في إعداد ذاك الخطابِ وتلك المطالبة التي جنَتْ عليه، وعلَّمَتْه درساً، ولقَّنَتْه تجربةً، فلا ينيبُ أحداً عنه ولا يوكلُ كاتباً يعرضُ له.

إنَّه درسٌ قاسٍ مرَّ به، ومعاناةٌ ذاق مرارتها. ولعلَّ القارئَ يستفيدُ من هذه التجربةِ، فلا يقعُ فيمَا وقعَ فيه ذلكَ المعلمُ؛ فالتقويمُ يجرِي في كلِّ مناسبةٍ، ويتمُّ أحياناً دون قصدٍ.

١٥- معَ المعلِّم التُّركِسْتاني

المراجعون أشكالٌ، والقادمون أجناسٌ، وحَتْمٌ على المسؤول أن يخصص جزءًا من وقتِه لمقابلةِ أصحابِ الحاجات، فخلالَ عملي الحكوميِّ أيقنتُ أنَّه واجبٌ فتحُ الأبوابِ، ومقابلةُ الناسِ، فإنَّ الرسائلَ قد لا تُجدِي، وإنَّ الكتبَ قد لا تُقنع.

لهذا كنتُ أُقابلُ كلَّ يومٍ أفواجاً، وأسمعُ كلَّ يومٍ ألسُناً في صالةِ المراجعينَ.

وفي اليوم السابعِ والعشرينَ من الشهر السادس لسنةِ ١٤١٤هـ، وبعدَ صلاةِ الظهرِ،

وبينما كنتُ في صالة المراجِعين أنظرُ في استدعاءاتهم وأقرأُها الواحد تلوَ الآخرَ، استوقفني خطابٌ رقيقٌ من معلِّمٍ غيرِ سعوديٍّ متقاعدٍ.

وحين قرأتُ اسمه قامَ الرجلُ من بينِ المراجعينَ، وأقبلَ نَحوي ليزيدَ الأمرَ إيضاحاً، ويبشَّني همومه، وصوَّبتُ النظرَ نحوَه، فرأيتُه هزيلَ الجسمِ، يدبُّ دَبيباً، وأشرتُ لأحدِ المستخدِمين أن يُمسكَ به، ويساعده في الوُصولِ، ويعضدَ له في الجلوسِ.

ولَمَّا جلسَ بجانبي قال: إنَّه تركستانيُّ الأصلِ، وكان معلِّماً ومربِّياً فاستراحَ أو أُريحَ،

وقد هجرَتْه السنونَ وطواهُ الزمنُ، واسودَّ منه ما كانَ أبيضَ، وابيضَّ منه ما كانَ أسود، وتمثَّلَ بقولِ البطلِ المحاربِ والفارسِ المقاتلِ، الذي قاومَ الصليبيِّينَ، وجالدَ فُرسانَهم، وعاصرَ صلاحَ الدينِ الأيوبيَّ، الشاعرِ أسامةَ بن منقذٍ:

مع الثمانينَ عاثَ الدهرُ في جلدِي

وساءني ضعفُ رِجليَّ واضطرابُ يدي

إذا كتبتُ فخطِّي جدّ مضطرِب

كخط مُرتعش الكفَّين مرتعد

فأعجب لضَعفِ يدِي عن حمْلها قلماً

من بعد حَطْمِ القَنا في لُبَّة الأسَد

وإن مـشيتُ وفي كـفِّي العصـا ثقلَت

رِجلي كـأنِّي أخـوضُ الـوحلَ في الجلدِ

فـــقُل لمن يـتـــمنَّى طولَ مـــدته

هذي عـــواقبُ طولِ الـعُـــمـــرِ والمدَد

وتمثل كذلك بقول أسامة في قصيدة أخرى:

ولَّا تـدَعْ منـي الثـــمـــانون مُنَّةً

كـــأنِّي إذا رُمـتُ القـيـامَ كـــسِـيـــرُ

أؤدِّي صـلاتي قـاعـداً وسـجـودُها

عليَّ إذا رمـتُ الســجـودَ عـــسـيـــرُ

وقـــد أنذرَتْـني هذه الحـــالُ أنَّـني

دنَت رحـلةٌ منِّي وحـــانَ مـــســـيـــرُ

وكان الرجلُ يحدِّثُني وهو خافضُ الصوتِ، كسيرُ الفؤادِ، مطأطئُ الرأسِ يتنهَّدُ مرةً وأخرى، ويزفـرُ تارةً، ويتأوَّه تارةً، ويشكُو همَّـه، ويندبُ حـاله؛ فقـد اسـوَدَّت الدُّنيا في عـينَيـه، مُشـتَّت الحالِ، ودَّ الرحـيلَ إلى أستراليـا؛ حيثُ لا وطنَ له، فامتنعَ الصبيةُ؛ حـيثُ ألفُوا المملكةَ وشعبها، وأحبُّوا الحجـازَ وهواءها، ولهم أكثرُ من ثلاثينَ عاماً، فكيفَ الرحيلُ؟!

وكـــان الرجلُ يطلـبُ الموافـقـةَ علـى نقلِ

كفالته، من وزارة المعارف لمُواطنٍ سعوديٍّ. وأفهمتُه أنَّ الوزارةَ لا تمانعُ في ذلك، وهذا الأمرُ من صلاحيةِ مُدير التعليمِ.

ورجوته أن لا يتأوه، وأن لا يتضجر؛ فالدُّنيا بخير، وأهلُ الخير موجودُونَ، وكتبتُ له بالموافقةِ وسُرعةِ الإنجازِ. ثُم قلتُ: وهَل لكَ من طلبٍ آخر يا والدي، فقال: نعم يا ولدي، واسمَحْ أن أخطابَك خطابَ الأبوةِ؛ فقد وجدتُ فيك أملِي ورجائِي.

قلتُ: مرحباً، ويشرِّفُني؛ فأنتَ معلمٌ، ولكلِّ معلمٍ دَيْنٌ في رقبتي. وأنتَ مدرسٌ، ولكلِّ مدرسٍ وسامٌ فوقَ جبيني.

قال: إنَّ أولادي لهم قصّةٌ، وعندي لهم حكايةٌ، فهل تسمحُ أن أروي لك مأساتِي، وأنْ أُسمعَك أسِيَّتي؟

قلتُ: انتظرْ قليلاً، وسوفَ أصحبُك إلى مكتبي؛ فبعضُ المراجعينَ أراهُ يتململُ، وبعضُ الحضورِ أبصرُه يتأوَّهُ.

قال: سوف أنتظرُ إن شاءَ اللهُ.

ثم نظرتُ في طلبِ هذا، وموضوعِ ذلك، وأنجزتُهم، وأمسكتُ بهذا الشَّيخِ إلى مكتَبي، وتذكرتُ أسامةَ بن منقذٍ، واستشهاده بشعرِه، وقلتُ له إنَّ أسامةَ قال في كتابِه (الاعتبار) قولاً

جميلاً، وكلاماً بهياً. إنَّه يقولُ عن الكبَر: لم أدرِ أنَّ داءَ الكبَر عامٌّ، يُعدي كلَّ من أغفلَه الحمامُ. فلمَّا تَوَقَّلْتُ[1] ذروةَ التسعينَ وأبلاني مَرُّ الأيامِ والسنينَ صرتُ كجَواد العّلاف لا الجواد المتلاف، ولصقتُ من الضَّعف بالأرضِ، ودخلَ من الكبَر بعضٌ في بعضٍ، حتَّى أنكرتُ نفسي وتحسرتُ على أمسِي، وقلتُ في وصفِ حالِي:

لَمَّا بلغتُ من الحياةِ إلى مدًى
قَد كنتُ أهواهُ تمنَّيتُ الرَّدى
لم يُبقِ طولُ العمرِ مِنِّي مُنَّةً
ألقى بها صرفَ الزمانِ إذا اعتدى

(١) توقل الجبل: صعده.

ضعفَتْ قُوايَ وخانني الثِّقتانِ مِن
بصَري وسَمعي حين شارفتُ المدى
فإذا نهضتُ حسبتُ أني حاملٌ
جبلاً وأمشِي إن مشيتُ مُقيَّداً
وأدبَّ في كفِّي العصا وعهدتُها
في الحربِ تحملُ أسمراً ومهنَّدا
وأبيت في لين المهاد مُسهَّداً
قلقاً كأنِّي ما افترشتُ الجلمدا
والمرءُ ينكسُ في الحياةِ وبينما
بلغَ الكمالَ وتَمَّ عادَ كما بدا

ثُم قلتُ: إنَّ أسامةَ رجلُ حروبٍ، جالدَ الفرسانَ، وشهدَ المعاركَ، ومدَّ اللهُ في عمرِه؛ إنه يقولُ: لا يظنُّ ظانٌّ أنَّ الموتَ يقدِّمُه ركوبُ الخطرِ، ولا يؤخِّرُه شدةُ الحذر؛ ففي بقائي أوضحُ معتبرٍ؛ فكم لاقيتُ الفرسانَ، وقتلتُ الأسُودَ، وضربتُ بالسُّيوفِ، وطعنتُ بالرِّماحِ وجرحتُ بالسِّهامِ والجروحِ، وأنا من الأجلِ في حصنٍ حصينٍ، إلى أن بلغتُ تمامَ التسعينَ، فرأيتُ الصحةَ والبقاءَ كما قال ﷺ: «كفى بالصحَّةِ داءً»، فأعقبتُ النجاحَ من تلكَ الأهوالِ ما هو أصعبُ من القتلِ والقتالِ، وكان الهلاكُ في كنهِ الجيشِ أسهلَ من تكاليفِ العيشِ.

استرجعَتْ منِّي الأيامُ بطولِ الحياةِ سائرَ محبوبِ اللذَّاتِ، وشابَ كدرُ النكدِ صفوَ العيشِ الرغَدِ[١].

قال هذا المعلم: إيَّ واللَّه، لقد صدق أسامةُ.

قلتُ: ما حكايةُ أولادِكَ؟

قال: إنَّ له خمسةَ أولاد، ثلاثةً يدرسُونَ في جدةَ، يرعاهُم كلَّ صباحٍ، ويراجعُ لهم كلَّ مساء، واثنين أحدها في الصفِّ الأول المتوسّط، والثَّانيِ في الأوَّل الابتدائي؛ حيثُ تعذَّرَ قبولُهما في جدةَ، فجاءَ بهما إلى الرِّيَاض، وبقيت الأمُّ معهُما، وصار له داران، وأصبح له همَّان؛ فالأمُّ

(١) الاعتبار لأسامة بن منقذ: ١٧٩.

هنا عند أخيها ومع الولدين اللذَيْن يدرُسان في مدارسَ تبعدُ مسافةً كبيرةً عن المنزل، ويتنقَّلانِ من حافلة لأخرى، ومن حيٍّ لآخر، وهُو بينَ الرياضِ وجدةَ! وذرفَ دمعةَ مكلومٍ كانت أقوى من ألفِ رسالةٍ، وأبلغَ من ألفِ شفاعةٍ.

قلتُ: ولماذا قسَوتَ على نفسك وأطفالك؟! هَلاّ زرتَ مديرَ التعليمِ هناكَ في جدةَ، وعرضتَ له حاجتَك، فأجزمُ أنَّه سيلبِّي وسيُقدِّرُ.

قال: زرتُ إدارةَ التعليمِ مرةً، ولم أتمكَّنْ من مقابلة مُدير التعليمِ بسببِ كثرةِ المراجعين؛ حيثُ إنَّ قبول غيرِ السعوديِّين يتمُّ عن طريقِ

إدارة التعليمِ.

قلتُ: كان الواجبُ أنْ تعـودَ مرةً أخرى وأنْ تُقابله، وسوفَ تجدُ الحلَّ والقبولَ.

قال: لم أفعلْ. وما قضى اللهُ حصلَ وكان.

وعند ذلك هاتفتُ مديرَ التـعليمِ ورجَوتُه أنْ يتصلَ بالمدارسِ التـي يرغبُهـا ويعمدُهم بقـبُولِ أبنائِه؛ فهذا الرجلُ يختلفُ عن سواهُ؛ فهو معلمٌ والوزارةُ تحفظُ للمعلِّمينَ جميلهم.

ثم طيَّـبتُ خـاطر الرجـلِ، وقـبَّلتُ جـبـينه، وقلتُ له: إنَّك كـنتَ مـعلمـاً؛ فـلكَ الإكـرامُ، وكنتَ مربياً؛ فلكَ التـقديرُ. ونحنُ نرعى الوفاءَ

ونحفظُه ونصونُه. وذهب الرجلُ وهُو يدعو ويقول: جزاكُم اللهُ خيرَ الجزاءِ، وجعلكُم عوناً للبائسينَ.

وأسألُ اللهَ أن يتقبَّلَ دُعاءه.

أحدث الإصدارات

Follow Us
obeikn reader
obeikanpub

كتبنا الصوتية
storytel
Kitab Sawti
www.kitabsawti.com
دار ضاد للنشر الإلكتروني
Dhad Audio Publishing
WWW.DHAD.SA

كتبنا الإلكترونية
Google Play
amazon kindle

لخدمات البيع والتوصيل
سوق
أحدى شركات amazon
رواق
noon

١٦- جار المدرسة

للجوارِ حقوقٌ، وللسَّاكِن واجباتٌ، والبيتُ للراحةِ والسَّكِينةِ، والدارُ للهدوءِ والطُّمأنينةِ.

وكنتُ إبَّانَ عملي في تعليمِ الرياضِ، وفي الوزارةِ بعد ذلك، أُعاني كثيراً حينَ تهمُّ الوزارةُ بفَتْح مدرسة أو بناء أُخرى؛ حيثُ يعترضُ بعضُ المجاورينَ، ولا يُريدون المدرسةَ بجوارِهم، ولهم الحقُّ في ذلك؛ فإنَّهم يتأذَّونَ من السياراتِ، ومن إزعاجِ بعضِ الطلابِ.

ولكنْ إذا استجَبنا فلن نفتحَ دارَ علمٍ؛ فكلٌّ لا يريدُ المدرسةَ بجوارِه، ولهذا نُقاومُ ونُجادلُ،

ونقعُ في حرجٍ مع هذا، ولومٍ من ذاك، وعتابٍ من صديق جاء يشفعُ حول هذه المدرسةِ، وربَّما شتيمةٍ من آخرَ بعد أن يئسَ، وتعذَّرتْ الاستجابةُ لرغبتِه.

وسأروي قصةً جرتْ مع جار لمدرسةٍ في مدينةِ الرياضِ، بحيِّ العُلَيَّا؛ فذلكَ الجارُ عانَينَا من مراجعاتِه وإلحاحِه، وكثرةِ الوساطاتِ التي جاءَ بهَا، ثُم الدعاءِ وربما الشَّتيمةِ.

وذلكَ أنَّ الوزارةَ اشترتْ أرضاً بجوارِ منزلِه، ولم يعلمْ هُو بالشراءِ، وامتلكت الوزارةُ الأرض، وطرحت عليها مشروعاً لبناءِ مدرسةٍ

متوسطةٍ. وحين بدأَ المقاولُ في العملِ، ثارتْ ثائرتُه، وتفرَّغَ للمراجعةِ والشكاوى. وشكَّلت اللجانُ لمعرفةِ الضررِ الذي سوفَ يلحقُ بِه، وإيضاحِ الرَّأي الذي يمكنُ اتخاذُه.

وقدَّمت اللجانُ رأيَها، وذكرت أن بيته، لا أبوابَ مواجهة له، ولا حركة نحوَه؛ فالبيتُ يقعُ في الشارعِ الخلفيِّ للمدرسةِ، ومن ثم يُصرفُ النظرُ عن مطالبته.

وصارَ الرجلُ يداومُ في إدارةِ التعليمِ، ويقابلُني كلَّ يومٍ، ويترجَّى ويتوسَّلُ. وكنتُ أقولُ له: إنَّ الأرضَ اشتُرِيَتْ منذُ أمدٍ طويلٍ،

وقبلَ تكليفي بإدارةِ التعليمِ، وإنَّ أمانةَ مدينةِ الرياضِ قد وافقتْ وأقرَّت هذه المدرسةَ، ولا لومَ عليَّ ولا تثريب.

وكان مع الرَّجُلِ بعضُ الحقِّ والصوابِ؛ فهو يقولُ: إن هذه الأرض لم تخصَّصْ مرفقاً تعليمياً، وإنَّه حين اشترى أرض بيتِه كانتْ هذه الأرضُ تتكوَّنُ من مجموعةِ قطَعٍ سكنيةٍ، ثُم قامتْ وزارةُ المعارفِ بشرائِها وتحويلِها إلى مدرسةٍ. وفي ذلك ظُلمٌ وجورٌ.

وإنِّي أتفقُ مع الرجلِ في رأيِهِ، فما كان يجبُ شراءُ الأرضِ، وكان الواجبُ أنْ

يُخصَّص في ذلك المخطَّط موقعٌ تعليميٌّ. ولكن ماذا تعملُ وزارةُ المعارف؟! إنَّها مضطرةٌ؛ حيثُ إنَّ ذلك الحيَّ لم تعتمد البلديةُ فيه أرضاً مدرسيةً؛ ومن ثَم فإنَّ الوزارةَ مُجبَرةٌ علَى الشراءِ، وقدَرُها أن تُجابه هذهِ المشاكل وأنْ تُعالج هذه المسائل.

وهذا ما يوقعُ المسؤولَ في الحرجِ والمعاناةِ، فمن جانبٍ. مع ذلك الجارِ حقٌّ وصوابٌ، ومن جانب آخرٍ، المصلحةُ العامةُ تقتضي الشراء، وعدم النظرِ لشكوى ذلك الفردِ؛ فالمدرسةُ للأمَّةِ وليستْ للأفرادِ، والضررُ نسبيٌ ومحدودٌ.

واستمرَّ الرجلُ في جدالِه ومراجعاتِه،

وسَئِمنا من تردُّده، ومَللْنا من كثرةِ خطاباته، فهذا خطابٌ من إمارةِ الرِّياض، وذلك من وزيرِ المعارف، وآخرُ من المقامِ السامي، وثالثٌ فيه دعاءٌ، وتخويفٌ باللهِ.

وكنتُ في همٍّ وبلاء، فالرجل يُريدُني أن أقف معه، وأنْ أُخالفَ اللجانَ في رأيها، ويطلبُ أن أوقفَ المشروعَ، وكانَ الموظَّفونَ في الأقسامِ المختلفةِ يتهرَّبُونَ من مصارحتِه، ويخشون مخاصمتَه، ويتمنَّعون من مجادلتِه، ويتركونه لمديرِ التعليمِ.

آهِ، ما أصبركُم زُملائي مُديري التعليمِ! وكان اللهُ في عونكم على تحمُّل هذا وذاكَ،

ورحمَ اللهُ الشاعرَ المتنبِّي حين قال:

وسِـوى الرُّومِ خلفَ ظهـرِكَ رُومٌ

فـــعلى أيِّ جـــانبَـــيْكَ تميلُ؟

إي واللَّـه، على أيِّ جـــانـب يميلُ مـــــديرُ التعـليمِ؟ وعلى أيِّ طريقٍ يقفُ مديرُ التـعليمِ؟ وكيف يُرضِي الناسَ مديرُ التعليمِ؟

وصـار ذلك المـراجعُ يحـضـــرُ كلَّ يومٍ إلى إدارةِ التـعليمِ، ويجلـسُ لدَى مُـديرِ المكتَب معَ المراجِعين، وحين أدخـلُ المكتبَ يحملقُ بعـينَيه حملقةَ عتابٍ وأسًى، وحينَ أخرجُ ينظرُ نظراتِ غـيظٍ وعـداءٍ. وكنتُ أقـولُ: حنانيك ربَّاه مـاذا

أعملُ لهذا الرَّجُلِ؟ هل أستدعي الشرطةَ، وأطلبُ منهُم منعه من المراجعةِ؟ وهل أكتبُ للإمارةِ وأرجُوها استدعاءَه والتأكيدَ علَيه بعدمِ المطالبةِ؟

واحترتُ في ذلك الإنسانِ الذي صار يداومُ كلَّ يومٍ، ويجلسُ مع المراجِعين، ويُهَمهِمُ ويُناجي نفسَه، ويُحدِّث ذاته، ويقولُ للحضورِ: أَشيرُوا على مديرِ التعليمِ أن يمنع الأذى عن منزلي، قولُوا لمُدير التعليمِ أنْ يكفَّ البلاءَ عن دارِي، ساعدُوني في إقناعِ مديرِ التعليمِ وارحمُوني في دفعِ المظلمَة عن مسكنِي.

وقلتُ له ذاتَ يومٍ: أين تعملُ؟

قال: في وزارةِ الصحةِ.

قلتُ: ألا يسألونَ عن غيابِك؟

قال: إنِّي أستأذنُ.

قلتُ: وإلى متى؟ ألم تزعجْهم بكثرةِ الخروجِ؟

قال: إنِّي أخذتُ إجازةً للمراجعةِ، وسوفَ أداوِمُ عندكم يومياً.

قلتُ: للَّه الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، وكان اللهُ في عوننا. ومضتِ الأيَّامُ وكان المقاولُ نشيطاً، ورحمنا اللهُ بهمَّتِه وسُرعتِه، فقد كان يعملُ ليلاً

ونهاراً، ولمْ يتوقَّفْ، وشيَّد المبنى في مُدةٍ وجيزةٍ.

وكان المقاولُ قد عرف بمراجعة ذلك الجارِ، وخشيَ من إيقافِه، ولهذا ضاعفَ الجهدَ، ورغب أن يضعه أمامَ الأمرِ الواقعِ. وتحقَّقَ الهدفُ؛ فقد أيقنَ الرجلُ بعد ذلك بعدم إمكانِ التوقُّفِ.

ولهذا طلبَ أن لا يفتحَ أيُّ بابٍ على الشَّارعِ الذي يقعُ فيه بيتُه، فاستجَبْنا، وطلب أنْ نضع حواجزَ من صاجِ الألومنيوم أمامَ الشبابيكِ المواجهةِ لدارِه، فاستجبنا.

ومع أنَّنا لبَّينا هذه الطلبات، إلاَّ أنَّه ظلَّ يتحسَّرُ ويتأسَّفُ، وأحسبُه اتَّخذ من شخصي عدُواً، وأظنُّه اعتبرني خصماً، وصنَّفني من المكروهينَ.

هذه واحدةٌ من الهُمومِ وصورةٌ من المعاناةِ، مع أنَّني لم أختر الموقعَ، ولم أقصدْ أذيةَ الرجلِ، ولكنَّها طبيعةُ العملِ، ولا أقولُ الآن إلاَّ: غفرَ اللَّه له، وصرتُ إذا مررتُ بهذه المدرسةِ تذكَّرت جارها؛ فالموقفُ لا يمكنُ أن أنساهُ.

١٧- بين مدرستين

زرتُ ذاتَ مرة، مدرستين ابتدائيَّتين في مدينةِ الرياضِ، يومَ كنتُ مُديراً للتعليمِ، وكانتا في حيٍّ واحدٍ، وإمكاناتُهما متماثلةٌ ومبانيهما حكوميةٌ، وهما متقابلتانِ، ويفصلُ بينهما شارعٌ رئيسٌ.

ولكنَّ بين الاثنتين بوناً شاسعاً؛ فحين وصلتُ الأولى وجدتُ الطلابَ في السَّاحاتِ وهم شذرَ مذرَ، فقد كانَ وقتُ الزيارة أثناء الفسحة الكُبرى، وحريٌّ بالمسؤولِ التَّعليميِّ أنْ يزور المدارس في هذا الوقت؛ فالطلابُ قد اختلط بعضُهم ببعضٍ؛ حيثُ يبدُو أثرُ التربيةِ،

وكيف السلوكُ؟ ومدى المراقبةِ، ثم جهود المدرسة في التوجيه والمتابعة.

ورأيتُ الطلابَ، ما بين مجموعةٍ يتقاذفون بقايا الأطعمةِ، وأخرى يتصارعونَ فيما بينهم، وثالثةٍ يحاولونَ تسلقَ سورِ المدرسةِ.

والأغربُ من ذلك وجدتُ مجموعةً تحلَّقُوا حولَ أثاثٍ تالف، وقد وقفَ واحدٌ منهُم فوقَ كرسيٍّ وكنبةٍ قديمةٍ ويُعلنُ بيعَ الأثاثِ والطلابُ يُزايدونَ فيما بينهم بقرشٍ وقرشينِ ويضحكونَ ويهزأونَ.

وبحثتُ عن المديرِ والوكيل والمعلمينَ، فلم

أجــدْ أيّاً مـنهُم بين الطـلابِ، وصــرتُ أرقبُ المشهدَ بنفس متـألِّمةٍ، وروحٍ حزينة، وضاقتْ بي الأرضُ، واخـتنـقتْ أنفـاسِي، وأسـفـتُ لهـذا الإهمالِ، فكيف تكونُ التـربيةُ إذا كان هذا واقع المدارسِ؟ وكيف يُبنى رجالُ المستقبلِ إذا كانتْ هذه حالة الطلابِ؟

ثم أخذتُ أبحثُ عن المعلِّمين وعن مُديرِهم وأتجـولَّ داخلَ المدرسةِ، وأروقَـتِهـا ،وشمـمتُ رائحـةَ الأكلِ، وسـمـعـتُ قـهـقـةً من إحـدى الغرفِ، وفتـحتُ الباب، وإذا بي أجدُ المعلِّمينَ، وقـد تحلَّقُوا حـول مـائدةِ الإفطارِ، يتبـارونَ في الضحكِ والتعليقِ فيما بينهم. وتذكرتُ ما رواهُ

الخطيبُ البـغـداديُّ في تاريخِ بغـداد عن أبي العـاليةِ الشـاميِّ، مـؤدِّبِ ولدِ المأمونِ، أنَّه قـال: لقي رجلٌ يـحـيى بن أكـثمَ وهو يومـئـذٍ على القـضـاءِ، فـقـال له: أصلحَ الـلهُ القـاضي، كم آكلُ؟ قال: فوق الجـوعِ ودونَ الشَّبعِ. قال: فكم أضحكُ؟ قـال: حتَّى يُسْـفِرَ وجـهكَ، ولا يَعْلو صـوتُك. قـال: فكم أبكي؟ قـال: لا تملَّ البكاء من خـشـيـةِ اللهِ تعـالى. قـال: فكم أخـفي من عملِي؟ قال: ما استطعت. قال: فكم أُظهرُ منهُ؟ قـال: ما يقـتدي بك البـر الخيـر، ويؤمنُ عليك قـولُ الناسِ. قـال الرجلُ: سـبحـانَ اللهِ، قـولُ قاطنٍ وعملُ ظاعنٍ!

إي والله، أكلٌ يُتْخِمُ، وضحكٌ يعلُو، وإهمالٌ وضياعٌ.

إنَّ المدرسة دارُ تربيةٍ قبل أن تكون دار علمٍ، ومكانُ إعدادٍ وبناءٍ، وموضعُ خُلقٍ وسلوكٍ.

ورثيتُ لحالِ المدرسةِ، وأسفتُ لوضع الطلابِ. آه لو يعلمُ آباؤُهُم هذا التفريط!

إنَّهُم أمانةٌ، فكيف ضيَّعناها؟! وعقولٌ غضّةٌ فكيف رعيناها؟

وسألتُ عن المُديرِ والوكيلِ فإذا هُما بين الجالسينَ وقد هالَهم مرأى، وأزعجهم دخُولي، ولهذا ما إنْ رأَوْني حتَّى هَبُّوا من جُلوسهم،

وأسرَعوا في الخُروج وقد طأطؤوا رؤوسهم، وتلكَّؤُوا في السَّلامِ، وارتبكوا في الكلامِ.

وصحبتُ المديرَ والوكيلَ إلى الساحة ليرَوا الإهمالَ، ويُشاهدوا التفريط. وقد عاتبتُهم وساءلْتُهم عن هذه الغفلة، وكدتُ ـ والله ـ أفقدُ السيطرةَ على مشاعري وأعلوهُم ضرباً ورفساً.

وانصرفَ الطلابُ إلى فصولهم، وتبعتُهم مع مديرِ المدرسة، وبدأنا نتجولُ بينَ الفصول، وتوقَّفتُ في أحدِ فصولِ الصفِّ الثالثِ الابتدائيِّ، وبقيتُ أستمعُ لشرحِ المعلمِ، وكانت المادةُ رياضيَّات، ولمحتُ طالباً في مُؤخرةِ

الفصلِ قد أطرقَ برأسه، وسرحَ بخياله، وغابَ شعورُه، فتوجَّهتُ إليه، ووقفتُ بجانبه، وسألتُه أينَ كتابُه؟ فأجابني بأنَّه لا يوجدُ معه كتابٌ.

والأغربُ من ذلك كلِّه أنَّ مديرَ المدرسة وذلك المعلمَ طلبا أنْ أتركَ هذا الطالبَ، وأن لا أناقشه؛ لأنَّه ضعيفٌ، ولا يجدُ رعايةً من ذويه، ورغبَ المذكورانِ أنْ أناقشَ غيره.

وزادَ ألمي هذا الجهلُ التربويُّ، وعظُمَ أسفي بهذا الخللِ التعليميِّ.

وزفرتُ زفرةَ مكْلومٍ، وتنهَّدتُ تنهُّدَ مأسورٍ، ثُم قلتُ: ويلٌ للتعليم من هؤلاء الرِّجالِ؟ وسألت: لماذا لم يُصرفْ لهذا الطالبِ كتابُ

الرياضيَّـات؟! قال المعلمُ: لقد أخبـرتُ الوكيلَ والمديرَ ولكنَّهما قالا: إن الكتبَ نفَدتْ.

قلتُ للمديرِ: ألم تتصرفْ.

قال: راجعْنا إدارةَ التـعليمِ، ولم نتسلَّمْ منهم النواقصَ بعدُ.

وسـألتُ طلابَ الفـصـلِ: هل صُـرفَتْ لهم جميعُ الكُتبِ.

قالوا: نعَم.

وتأكَّـدتُ أنَّ النقصَ فقـط في الرياضيَّـات، وأنَّه لهذا الطالبِ وحده. وخرجتُ من الفصل، ورثيتُ لحالِ المدرسـةِ،؛فزجاجُ النوافـذِ محطَّمٌ،

والممرَّاتُ مليئةٌ بالأوساخِ، والأبوابُ مهشَّمةٌ، وفي كلِّ زاويةٍ تجدُ أثرَ الإهمالِ، وفي كلِّ ناحيةٍ تلقى نتائجَ التسيُّبِ.

وطلبتُ من المُدير أن يفتحَ المستودعَ لنبحثَ عن كتابِ الرياضيَّات لذلك الطالبِ، وارتبكَ المديرُ، وحاولَ التهربَ بعدمِ وجودِ مفتاحِ المستودع. وأمرتُه بكسرِ القفلِ، ثُم نزعتُ الغُترةَ والعقالَ، وبدأتُ أُرتِّبُ ذلك المستودع البائسَ، والمديرُ والوكيل والمستخدمون يشاركونني في الترتيبِ والتنظيمِ، وفجأةً أجدُ كرتوناً كاملاً من كُتُب الرياضيَّات للصفِّ الثالثِ الابتدائيِّ يحتوي على عشرين نسخةً.

وقلتُ للمديرِ: الويلُ لكم تزعمونَ أنَّ إدارةَ التعليمِ لم تصرف الكتب، وأن العيب في مستودعاتِ الإدارةِ، والسّوءُ والخللُ فيكُم أنتم! وأخذتُ نسخةً، وذهبتُ بها إلى ذلك الطالب، وسلمتُها إيَّاه، ووضعتُه في الصفِّ الأماميِّ، وطلبتُ التركيزَ عليه والاهتمام به.

هذه صورةٌ قاتمةٌ للمدرسةِ الأولى التي لازالتْ ذكراها باقيةً منذُ أكثرَ من خمسة عشر عاماً.

أمَّا المدرسةُ الأخرى فهنيئاً لطلابِها، وبورِكَ في مديرِها، وسعداً لمنسُوبِيها.

وصلتُ لهذه المدرسةِ في يومٍ آخر، وفي

الوقت نفسه، في الفُسحة، ووجدتُ الهدوءَ والنظام، وكأنَّني أدخلُ مستشفًى؛ فالطلابُ يراقبُ بعضُهم بعضاً، والأفنيةُ نظيفةٌ والممرَّاتُ جميلةٌ، والفصولُ بهيّةٌ.

والمدرِّسونَ متفرِّقونَ يراقبونَ ويوجِّهونَ، والمديرُ بين الطلابِ يتابعُ ويراقبُ ويُربِّي.

ورأيتُ صُوراً تربويةً متعددةً؛ فالمكتبةُ المدرسيةُ يتدافعُ الطلابُ نحوها، ويُقدِّمونَ للقائمِ عليها بحوثهم وأجوبتهم عن مسابقاتٍ تُنظَّمُ لهم.

ومجموعةٌ أخرى في غُرفةٍ للمسرح المدرسيِّ، يتناوبُ الطلابُ فيها على الإلقاء

والخطابةِ، والحوارِ والمناقشة، وبينهم مُعلمٌ يُوجِّه ويُقوِّمُ، ووكيلُ المدرسةِ يُساعدُه.

وفئةٌ أخرى من الطلابِ رأيتُهم في النشاطِ الفنيِّ وتحسينِ الخطوطِ، وقد رسمُوا لوحاتٍ فنيةً، وعملوا خطوطاً جميلةً.

وانتهى وقتُ الفراغِ، ثم انصرفَ الطلابُ بكلِّ أدبٍ وتربيةٍ، في خيطٍ مستقيمٍ، الواحد تلو الآخرِ إلى فصولهم.

وتجوَّلتُ في الفصولِ، وتنقَّلتُ في المدرسة، وصعدتُ فوقَ سطوحِها، حيثُ يستخدمُه مديرو المدارسِ للرَّجيعِ من الأثاث، وقد رأيتُ النظافةَ والنظامَ، ولم أجدْ خللاً يعيبُ، ولم أرَ

نَقصاً يُذكر، بل وجدتُ المقاعدَ القديمةَ التي أتذكرُ أنَّها كانتْ موجودةً يومَ كنتُ طالباً في المرحلةِ الابتدائيةِ قبلَ أربعينَ عاماً.

نَعم، وجدتُ تلك المقاعد المستطيلةَ التي يجلسُ عليها خمسةُ طلابٍ وستةٌ.

وشكرتُ ذلك المدير، وأطريتُه، وكِدتُ أقبِّلُ رأسه؛ فقد حفظ الأمانة، وصان الرسالة.

ونقلتُ هذه الصورةَ عن هاتين المدرستين لزُملائي في إدارةِ التعليمِ، وتبادلْنا الرأي، وتمَّ الاتفاقُ على التعميمِ على جميع مدارسِ مدينةِ الرياضِ بهاتين الحالتين، لومٍ لتلكَ، وإطراءٍ للأخرى، عتابٍ للأولى، وشُكرٍ للثانيةِ.

وصدر التعميمُ بأسماء المدرستين، وتبعه خطابُ شُكرٍ، جرى تعميمُه لمديرِ المدرسةِ الثانيةِ، وكذلكَ لوكيلِه، ولجميعِ المعلِّمينَ في تلكَ المدرسةِ.

كما جرى إبعادُ ذلك المديرِ المهملِ، والوكيلِ المتكاسلِ، وتمَّ توزيعُ المعلِّمينَ في تلكَ المدرسةِ البائسةِ.

وكذلك عاتبتُ المشرفين التربويِّين المسؤولينَ عن تلكَ المدرسةِ، وكيفَ تركُوها تصلُ لهذا المستوى الرَّديءِ.

وأصدَرنا تعمِيماً بمنعِ الإفطارِ الجماعيِّ في المدارسِ.

هذه أحوالُ المدارسِ، فيها الممتازُ والرديءُ، وبينها المدركةُ لرسالتها، والغافلةُ عن وظيفتها.

وكان اللهُ في عَونِ المشرفينَ والقائمينَ على التعليم.

أحدث الإصدارات

١٨- العاشرة

سمَّاها بعضُ الموظفينَ العاثرةَ، وقال آخرون هي الحاشرةُ؛ وذلك أن نظام الخدمة المدنيَّة والمراتب الوظيفيَّة التي يشغلُها مُوظَّفو الحُكومةِ تتدرَّجُ من المرتبةِ الأولى حتَّى الخامسةَ عشرةَ.

والترقياتُ للموظَّفين تتابعُ حتَّى المرتبة العاشرة، وفق ضوابطَ معتمدة، من أهمِّها الأقدميةُ، وانقضاءُ أربعِ سنواتٍ على الموظفِ في المرتبةِ، وما لديهِ من دوراتٍ تدريبية.

أمّا ما بعد العاشرة، فيتغيَّرُ الأمرُ، وتكونُ الترقيةُ حسبَ رؤيةِ رئيسِ الجهةِ الحكوميةِ،

وحسبَ تزكيتِه؛ لأنَّها وظائفُ قياديةٌ، وإحداثُها قليلٌ.

وقد كان في إدارة التعليمِ بالرياضِ مجموعةٌ من الموظَّفين وصلوا للمرتبة العاشرة، وتوقَّفت ترقيتُهم، ومنهُم رؤساءُ أقسام أعرفُ أنَّهم يتحمَّلون شيئاً من المُعاناة، وقدراً من المسؤوليَّة، وكنتُ أعرفُ الجهودَ التي يقدِّمونها، والأعمالَ التي يؤدُّونَها.

ولقد كُنت وأنا مديرٌ للتعليمِ بالرياضِ، أُطالبُ للقياديِّين بالترقية، مثلِ رئيسِ التفتيشِ الإداريِّ، ومديرِ شؤونِ الطلابِ، ومديرِ

الموظَّفين، ومديرِ الشؤونِ الماليةِ، ومديرِ شؤونِ المعلِّمينَ، وغيرهم من رؤساءِ الأقسامِ.

وانتقلتُ وكيلاً لوزارة المعارف في عام ١٤١٢هـ، ولم تتحقَّقْ ترقيةُ أيٍّ من هؤلاء الرِّجال، وذلك أنَّ الوظائفَ العليا لوزارة المعارف وفُروعها مركزيةٌ، ويتفاضلُ عليها جميعُ الموظَّفين في مختلِفِ الفروعِ.

وحين باشرتُ العملَ في الوزارةِ عذرتُ أخي وكيل الوزارة السابق الدكتور سعود الجماز، ومعالي وزير المعارف آنذاك الدكتورَ عبد العزيز الخويطر في عَدمِ استجابتهم لمُطالَبَتي بترقيَة زُملائي في إدارة التعليمِ بالرياضِ؛

فالوظائفُ العُليا (الحاديةَ عشرةَ وما فوقها) قليلةٌ، والمطالبونَ بالترقية كثيرون، والضغطُ الاجتماعيُّ على وكيل الوزارة قويٌّ؛ فالكلُّ يريدُ تزكيةً لمعالي وزيرِ المعارفِ.

وبدأَت الوفودُ تتقاطرُ للمُطالبة بالترشيح، وصارَ بعضُ الموظَّفين يتوالونَ في المراجعة والإلحاح، ولقد تمنَّيتُ عدمَ وُجود وظائفَ شاغرةٍ بالمرتبةِ الحاديةَ عشرةَ وما فوقها؛ فالمستحقُّون للترقية في وزارة المعارف قرابة ثلاثمائة شخصٍ، والوظائفُ الشاغرةُ لا تتعدَّى أصابعَ اليد فكيف نختارُ؟ وكيف نَعْدلُ؟ وكيف نُرشِّحُ؟

وكان أمامي خياران، أحلاهُما مُرٌّ، كما قال الشاعرُ أبو فِراسٍ الحمدانيُّ:

وقال أُصَيْحابي الفِرار أو الرَّدى

فقلتُ هما أمْرانِ أحلاهما مُرّ

وكان الخيارُ الأولُ يقضي بتأجيل الأمر، وعدمِ حسمِ الموضوعِ، وتسويفِ الموظَّفين، وعدمِ مجابهتهم، والدخولِ معَهم في جدالٍ؛ فالكلُّ منهم يرَى أنَّه الأحقُّ وأنَّه الأجدرُ.

أمَّا الخيارُ الثَّاني فالتوكُّلُ على اللَّه وتطويرُ الآليةِ القائمةِ والإجراءِ المتبعِ، ولا ضيرَ من اللَّومِ والعتابِ؛ فهذهِ ضريبةُ المسؤوليةِ.

وعرضتُ هذه المشكلةَ والمعاناةَ على معالي وزير المعارف آنذاك، الدكتور عبد العزيز الخويطر، وتشاورتُ معَه، وخرجتُ بتوجيه منه بتطوير الإجراء القَائم، وتشكيل لجنة من ذوي الخبرةِ والكفاءة، والأمانةِ والعدالةِ تتولَّى الأمرَ، على أنْ يُراعى في الترشيحِ للوظائفِ العُلْيا كفاءةُ الموظَّف، وقُدرتُه على الأعمال القيادية، وأنْ تكونَ الأولويةُ لرؤساءِ الأقسامِ والقياديِّين في الوزارةِ وفروعِها.

وتمَّ تشكيلُ لجنة حسبَ توجيه معاليه، وأقرَّ معالي الوزيرِ أسماءهم، واعتمدَ الأساسَ الذي

يعملونَ بموجبِه.

وقبلَ أنْ تبدأَ اللجَّنةُ في العملِ فُوجئْتُ برئيسِها وأعضائِها ذاتَ يومٍ يزورونني في المكتبِ، ويطلبونَ الجلوسَ معي، ويعرضونَ شرطاً حيَّرني، وهو عدمُ الإعلانِ عن أسمائِهم، فلا يريدونَ الإحراجَ، ولا لومَ الموظَّفين المطالبين بالترقيةِ، وقالوا: ما دام معالي الوَزير وأنتَ تثقونَ بأمانتنا وتقبلون رأينا، فثقوا أنَّنا سنتحرَّى العدلَ، فنحنُ قُضاةٌ ائْتُمِنَّا، ونخشى الله ونخافُه، لكنَّنا لا نريدُ الدخولَ في المخاصمة والشفاعة مع هذا وذاكَ، ونودُّ أن تبقى أمورُ اللَّجنة وأسماءُ أعضائها سريةً. قلتُ لهم: للَّه

الأمـرُ مِن قَبْلُ ومِن بَـعْدُ، وإنَّ في هذا الإجـراء إحـراجٌ لي، فسـوف أتحـمَّلُ العـتاب، وسـوف أكونُ الملومَ؛ حيثُ إنَّ مـعالي وزيرَ المعارف تردُ إليه الأوراقُ من وكيله، وسيكونُ اللَّومُ لوكيله.

وبدأَت اللجنةُ عـملها، ورشَّـحت الموظَّفين، ووافقَ وزيرُ المعارف على الترشـيحات، وجرى شـغلُ الوظائفِ الشاغـرةِ، وتمَّت ترقـيةُ رُؤسـاءِ الأقسامِ في عـدد من مناطق التعليمِ، ومِن بينهم مجموعةٌ في إدارةِ التعليمِ بالرياضِ.

ووقعَ ما خشِيتُه؛ فقد ظنَّ بعضُ الموظَّفينَ أنَّ الترشيحاتِ فـرديةٌ من قِبَل وكيلِ الوزارةِ، وأنَّها

وفقَ عـواطفـه ومـشـاعره، وحـسبَ عـلاقـتـه وصداقته.

وإنِّي ـ وقد تركتُ العـمل ـ يعلمُ اللهُ وحده أنَّه لم يُرشَّحْ واحـدٌ لعـلاقـة أو صـداقـة؛ فكلُّ الترقيات تمَّت بواسطة اللِّجانِ، وبمعرفة وموافقة مَـعالي وزير المعـارِف، وتمَّت للقيـاديِّين، ثم لمن هو مـؤهَّلٌ لأنْ يكونَ قيـادِياً، ولمن هو مـشهـودٌ لهُم بالعملِ الدؤوبِ والأداءِ المتميِّزِ.

وأحـمـدُ الـله أنَّ العـتـابَ كـانَ من أفـراد محدوديـنَ، لقيتُ منهم عَناءً؛ فقد بذلوا جُـهداً لاسـتـثنائهم من المُـفـاضلة، ووسَّطوا عـدداً من

كِرامِ القـومِ، وجاؤوا بخطاباتِ شفـاعةٍ من هذا وذاكَ. وكنتُ أقولُ لهم: لا نسـتطيعُ أنً نتجاوزَ اللجـانَ المشكَّلة ولا القراراتِ المعـتمـدةَ، وكان وزيرُ المعـارف الـدكـتـورُ الخـويطـرُ، وكـذلك الدكتـور الرشيدُ من بـعده يعتـمدون على رأي اللِّجانِ، ويقبلونَ ترشيحاتهم.

وتوالى الـعـتـــابُ من عـــدد من المـوظفين، وتطاولوا في القول بعد أن تعـذَّرت الشفاعاتُ، وحين سئمت من كـثرت مراجعتـهم وإلحاحهم أرسلت للجنة الشفاعات التي ترِدُ، والوساطاتِ التي تصلُ، وكـان رأيُهم الحزمَ والعـدلَ. وقالوا ذاتَ يوم: إذا شِـئـتُم اسـتثناءهـم فلا تعـرضـوا

أمرهم على اللجنةِ.

وحين رأيتُ هذا العناءَ وذلك الظنَّ الباطل تذكَّرتُ ما رواه البخاريُّ[١] من أنَّ صفيةَ زوجِ النبيِّ ﷺ جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ تزوره في اعتكافِه في المسجد في العشر الأواخِر من رمضان، فتحدَّثَتْ عنده ساعةً، ثم قامتْ تنقلبُ، فقام النبيُّ ﷺ معها يَقْلبُها[٢]، حتَّى إذا بلغتْ بابَ المسجدِ عند بابِ أمِّ سلمةَ مرَّ رجُلانِ من الأنصارِ، فسلَّما على رسُول الله ﷺ. فقال النبيُّ ﷺ: على رِسْلكُما، إنَّما هي صفيَّةُ بنتُ حُيِيٍّ. فقالا: سبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ. وكبُرَ

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٢٠٣٥ .

(٢) يقلبها: أي يرُدها إلى منزلها.

عَليهما، فقال النبيُّ ﷺ: إنَّ الشيطان يبلغُ من ابن آدم مبلغَ الدَّمِ، وإنِّي خشيتُ أنْ يقذفَ في قلوبكُما شيئاً.

وكان ﷺ يريدُ بذلك إزالة الظنِّ، وإبعاد الشُّبهة، وهُو المصطفى ﷺ، فكيف بنا نحنُ المساكين.

ولهذا رجوتُ معالي وزير المعارف، الدُّكتور محمد الرشيد أن يُعدِّل في الإجراء، وسمَّيتُ له لجنةً أُخرى، من مجموعة من كِبار موظَّفي الوزارة. وقامت الوزارةُ بتطويرِ المعاييرِ القائمةِ. وعرف الموظَّفون أعضاء هذه اللجنةِ فقد صارت اللجنةُ تُجري لهم المقابلاتِ، ومن ثم

تقومُ بالتَّرشيح، ثم تعـرضُ عليَّ ما تتوصَّلُ إليه لأدوِّنَ رأيي، وأعرضه على معالي وزيرِ المعارفِ الدكتورِ محمد الرشيد.

وباشرتْ تلك اللجنةُ أعمالهـا، وجرى ترقيةُ مجموعـةٍ مِن موظَّفي الوزارة، ومع ذلك كانت المعانة من هذا وذاك، فصـاحب الحاجة ملحاح، وكل يرى في نـفـســه الكفــاءة، وكل يرى أنه الأحق والأجدر.

وكان الله في عـون المسؤولين فـإنهم يلقون لوماً وتجريحاً من بعض الموظفين الذين ينساقون وراء عـواطفـهم الشخـصـيـة ويظنون الظنون، ولهــذا أتمنى من الـقـارئ الكـريم أن لا يسيء

الظن بأخيه المسلم فالمرءُ منسوبٌ إلى فعلِه.
يقولُ عليُّ بنُ الجهمِ:

والمرءُ منسوبٌ إلى فعلِه

والناسُ أخبارٌ وأمثالُ

يا أيُّها المطلِقُ آماله

مِن دُون آمالك آجالُ

ما أحسنَ الصبرَ ولا سيَّما

بالحرِّ إنْ ضَاقتْ به الحالُ

١٩- الأرض الهديّة

ما أسعدَ المسؤولَ حين يكونُ إلى جانبِه رجالٌ مخلصون!

وما أجملَ الاحترازَ والاحتياطَ!

وحريٌّ بالمسؤولِ أنْ يبتعدَ عن الشُّبهةِ والظنِّ، وأن يجعلَ مِن نفسِه قُدوةً ومثلاً.

يقولُ الشاعرُ ابنُ زيدُون(١):

لا تَترُكنْ للناسِ موضِعَ شُبهةٍ

واحزِمْ فمِثْلُكَ في العظائمِ أحزمُ

(١) ديوان ابن زيدون، ص١٩٠.

ولقد كان هذا شِعـارِي في العملِ، ومنهجِي في الوظيفةِ.

وذات يومٍ في إدارةِ التعليمِ بالرياضِ، وأظنُّه في شـهرِ رمـضـانَ عامَ ١٤٠٣هـ جـاءَ إليَّ في المكتبِ المفـتشُ الإداريُّ عقـلاء العقـلاء ومعـه معـاملةٌ بين يديه، وقـال: هذا محـضرٌ لاسـتلامِ أرضٍ جرى إفراغـها لصالحِ الوزارةِ، ومطلوبٌ توقـيعُ محـضر الاسـتلامِ، وتسليـمُه لصـاحبِ الأرضِ، ليـتـسلَّمَ الشـيكَ من مندوبِ أمـلاكِ الدولةِ في وزارةِ المالـيـة والاقـتـصـاد الوطنيِّ. وكانتْ قيمةُ الأرض خمسةَ ملايينَ ريالٍ تقريباً، وتقعُ في جنـوبِ الرياضِ بحيٍّ بدرٍ في منـطقـةِ

الشِّفَا.

قلتُ: وهل تمَّ الإفراغُ وجرى الشراءُ؟

قال: نعمْ.

قلتُ: هل وقَّعتُم على المحضر، وهل تمَّ تحديدُ أركانِها ومعرفةُ موقعها مِن قِبَلِ القسمِ الهندسيِّ؟

قال: نعمْ.

قلتُ: إذاً ما المطلوب؟ ولماذا جئتَ بالمعاملةِ؟

قال: إنِّي أودُّ أنْ أخبركَ أنَّ هذه الأرضَ سبقَ أن تبرَّعَ بها للوزارةِ مالكُها السابقُ.

قلتُ: وكيف جرى بيعُها وهي هديةٌ؟!

قال: أظنُّ أنَّ الإهداءَ مشروطٌ.

قلتُ: أعطني المعاملة ومحضر الاستلامِ، وابحثْ عن خطابِ الإهداءِ.

قال: إنَّ البائعَ موجودٌ بمكتبي ،ويريدُ توقيعَ المحضرِ ليستلمَ الشيكَ.

قلتُ: اصرِفْه، وأخبِرْه أنَّ عليه المراجعةَ بعد أسبوعٍ. وذهبَ الأخُ عقلاءُ. وفي اليومِ الثَّاني أحضر خطابَ الإهداءِ، وقال: هاهو، ولكنَّ فيه شَرطاً.

قلتُ: وما الشرطُ.

قال: إنَّ مالك الأرضِ الأوَّلَ تبرَّعَ بها، وأهداها للوزارةِ شريطةَ أنْ يُقامَ عليها المشروعُ في العامِ نفسه (١٤٠٠هـ)، وأظنُّه قد باعها حين لم يتمَّ البناءُ وتنفيذُ الشرطِ.

ونظرتُ في الخِطابِ وإذا هُو كذلكَ، وكانَ تاريخُه قبل ثلاثِ سنواتٍ.

وتأمَّلتُ الأمْرَ، ثم أجريتُ اتِّصالاً هاتفياً بالمتبرِّعِ، وأخبَرتُه أنَّه سبقَ أنْ تبرَّعَ بهذه الأرضِ لإدارةِ التعليمِ، وأنَّه قد اشترطَ إقامةَ المشروعِ في العامِ نفسِه، وأنَّ المقاولَ موجودٌ منذُ أَمدٍ، ولكنْ

تأخَّرَ تنفيذُ المشروعِ بسببِ عدمِ وجودِ رخصةِ البناءِ الَّذي تعذَّرَ إخراجُها؛ لأنَّه لم يُفرغِ الأرضَ لصالحِ الوزارةِ، ثُم قلتُ له: إنَّ المؤسفَ أنَّ هذه الأرض جرى بيعُها لشخصٍ آخر، وأنَّها بيعَتْ للوزارة، وإنَّني أمسكتُ بالأمرِ، وأخبرتُه أنَّ مقاول البناءِ موجودٌ، وأنَّه يترددُ لاستلامِ الموقعِ.

وبعدَ حوارٍ ونقاشٍ قال: اتركْ لي الأمرِ لأنظر. وكان رجلاً كريماً، وصاحبَ عقاراتٍ مشهوراً.

وما هي إلا أيامٌ وإذا بِه يرسلُ صكَّ الإفراغِ

للوزارةِ، ويُلغِي ذلك البيعَ، وتعودُ الأرضُ هديةً لإدارةِ التعليمِ.

أمَّا ذلك البائعُ فقد وسَّط هذا، وشفعَ بذاكَ لكيْ نسلِّمَه الشيكَ، ونتجاهلَ التبرعُ.

وحينَ يئسَ البائع زارني في مكتَبي بإدارةِ التعليمِ، وكان ذلك في شهر رمضانَ المبارك، وقال: إنَّ هذا الشيكَ الذي أوقَفتَه سبقَ أن خصَّصه زكاةً وصدقةً عن أملاكه الأخرى، ويرجُو أن لا أتسبَّبَ في تأخيرِ تلك الزَّكواتِ.

قلتُ له: لا تحاولْ إقناعِي؛ فهذه أرضٌ سبقَ أن تبرعَ بها مالكُها الأولُ للوزارةِ، ولا يمكنُ

شراؤُها، ولن تفلحَ كلُّ محاولاتك للتراجعِ.

وتحقَّقتْ الهديةُ، وأعدنا المعاملةَ للوزارةِ.

إنَّ الفضلَ في ذلكَ هُو لأخِي المفتِّش الكريمِ عقلاء العقلاء؛ فلو أنَّه وقَّعَ المحضر، واعتمدَ على أن التبرُّعَ كان مشروطاً، وأنَّ الشرطَ لم يتحقَّقْ لما لحقَهُ لومٌ ولا عتابٌ.

ولكنَّهُ رجلٌ أمينٌ، وزميلٌ مخلصٌ. وقد أسفتُ لتقاعدِه، وأحسستُ بفقدِه.

إنَّ هؤلاءِ الرجال الذين يتحلَّوْن بالأمانة والإخلاصِ، والفطنةِ والحزمِ، يشعرُ المسؤولُ

بالفراغِ حينَ يتركونَ العملَ، ولكنَّها سُنةُ الحياةِ، جيلاً بعدَ جيلٍ، وهذا خلَفٌ لذاكَ.

٢٠- المدير الغائب

الجولاتُ الميدانيةُ مهمةٌ للمسؤُول، وهي مشقةٌ وعناءٌ، ولكنَّها واجبٌ وحتمٌ. فكيف يعرفُ المسؤولُ أداءَ مرؤُوسيه؟ وكيف يطمئنُّ القائدُ على المركبَة ما لم يتفقَّدْها، ويتابعْ أمورَها؟!

وحين تولَّيْتُ العملَ في إدارة التَّعليم بالرِّياض أمضيتُ فترةً طويلةً في الجولات الميدانيَّة، حتَّى صرتُ أعرفُ المدارسَ، الواحدَة إثرَ الأُخرى، وبتُّ أعلمُ مواقعها، حتَّى أنَّني إذا دُعيتُ إلَى مُناسَبة اجتماعيَّة تساءلتُ عن المكان، وما أقربُ مدرَسة إلَيه؟

إنَّ هذا الأسلوبَ يكتشفُ المسؤولُ به جدَّ المُوظَّفين، ويعرفُ هزلهم، ويعلمُ حزمَ أعوانه، وتراخي زُملائه، وهُو بذلك يدفعُهم إلى المزيد من العمل، ويجعلُ نفسه قدوةً لهم، ويتخذ من ذاته مثلاً لديهم.

إنَّه إذا نزلَ للمَيدان أبصرَ الخللَ مباشرةً، ورأَى التميُّزَ دونَ حاجز، وشاهدَ الواقعَ الفعليَّ، ولَم يعتَمدْ علَى التَّقَارير التي تُكتَبُ، أو الرِّوايات التي تُذكرُ.

وفي تلكَ الزِّيارات يشاهدُ المسؤولُ حالات تستوجبُ المعالجةَ، ويبصرُ أمُوراً تقتَضي الحزمَ، ويقفُ على جوانبَ تُحتِّمُ الإشادةَ، ويرى بعضَ

المواقف المُحرجَة، ويصادفُ بَعضَ الجَوانب الطَّريفَة.

ومن الصُّور التي لا زالت في الذَّاكرة أنَّني ذاتَ مرَّة قُمتُ بزيارة إحدى المدارس الواقعة في جنوب غرب مدينة الرِّياض فما وجدتُ مديرها، ولم أرَ وكيلَها، وكانت الساعةُ السابعةَ صباحاً، وحينَ رآني المدرِّسونَ في مدخَل المدرَسة سمعتُ بعضهم يقولُ للبعض الآخَر: هيَّا أسرعوا إلى الفُصول؛ هذا مديرُ التَّعليم حضر. وشاهدتُهم يتدافَعونَ من باب آخرَ، ويسرعونَ نحوَ الطُّلاب، ويسوقُونهم إلى الفُصول على عجَلٍ؛ لأنَّ الحصةَ الأُولى قد فاتَ منْها ربعُ ساعَة.

وقد شاركتُهم في توجيه الطُّلاب نحو قاعاتهم، وجلستُ في المدرَسة أديرُها، وأتنقَّلُ بين الفُصول، وأراقبُ الأمرَ. وحينَ أوشكَت الحصةُ الأولى على النِّهاية جاءَ مديرُ المدرَسة، وقد ظنَّ أنَّ مجيئي معه، فقال: أهلاً ومرحباً.

قلتُ: أيُّنا الَّذي يرحِّبُ بالآخر، المُتَقدِّمُ أَم المتأخرُ؟ أينَ أنتَ؟ وأينَ وكيلُك؟

قال المديرُ: أمَّا أنا فسيَّارتي قد تعطلَتْ في الطَّريق، وأمَّا الوكيلُ فحتماً تجدُه بين الطُّلاب.

وبينما هُو يتحدَّثُ إذ أقبلَ ابنٌ له لم يلتحقْ بالمدرَسة بعدُ، وأسرعَ نحو أَبيه مُدير المدرَسة وقال: أَبي، أَبي، إنَّ أُمِّي في انتظارك، هيَّا أسْرِعْ.

وقـدْ ودَّ المديرُ أنْ يدفعَ ابـنَه، وأن يكتمُ فَـاه، ولكن أنَّى له ذلك. قلـتُ للطِّفل: تعـالَ يا بُنيَّ، من الذي جـاء بك؟ قـال ـ والأطفـالُ أبرياءُ لا يكذبونَ: إنَّ بيـتنا قـريـبٌ، ولقـد أرسَلَتْني أمِّي وتقولُ: نادِ أباكَ.

قلتُ للمُـدير ـ وقـد احـمرَّ وجـهُـه وأطرقَ خـجـلاً: اتَّق اللـهَ، واصـدُقْ في قـولكَ، وإنَّ وكيلك مـثلُك، إنَّه غيـرُ موجُـود، وإنَّ الإهمالَ والكذبَ يَجـعَـلانك فـي هذا المَوقف المُحـرج، وفي هذه الحالة الصَّعبة. إنَّك مربٍّ، وحَريٌّ بكَ أنْ تكونَ قدوةً فـي خُلُقك، ومَثلاً في تـعامُلك، إنك قـائدُ المدرسَـة فـلا تغـفلْ، وفـارسُهـا فـلا تُهملْ.

وباللَّه أخـبـرْني، كـيفَ تحـزمُ مـع وكـيلك الغـائب وأنـتَ مـثلُه؟ وكـيفَ تحـاسبُ هؤلاء المعلِّمينَ وقد فـاتَ من الحصَّة رُبعُ سـاعَة وأنتَ تتصرفُ مثلَ هذا التصرُّف؟

ولقد أطرقَ الرَّجلُ خَـجلاً، وأغضى حـياءً، ولم يَرُدَّ بكلمة واحدة، وإنما أبدى أسَـفه، وقدَّمَ اعتـذاره، وتابعْناه بعد ذلك، فـوجدْناه قد تغـيَّرَ وعـرفْنا أنَّه فـهم الدرسَ، وتعلَّـمَ من تلكَ الزَّلَّة الشيءَ الكثيرَ.

الفهرس

م	الموضوعات	رقم الصفحة
...	المقدمة	٧
١	تربية أمير	١٣
٢	إجابة الوزير	٢١
٣	الشريفة	٣٣
٤	العدل والقسطاس	٤١
٥	المعلم البلوي	٥٥
٦	الحيْرة	٦٥
٧	حسناء في الإدارة	٦٩
٨	أبو هنود	٨٣
٩	المعلمون والنصاب	٩٣

م	الموضوعات	رقم الصفحة
١٠	في صالة المراجعين	١١٧
١١	غرفة المدخنين	١٢٩
١٢	صغار السن	١٥١
١٣	ودمعت عيني	١٦٣
١٤	يكتب عن المدرس	١٧٩
١٥	مع المعلم التركستاني	١٨٧
١٦	جار المدرسة	٢٠١
١٧	بين مدرستين	٢١٣
١٨	العاشرة	٢٢٩
١٩	الأرض الهدية	٢٤٣
٢٠	المدير الغائب	٢٥٣

المؤلف في سطور

* د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الثنيان
* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٩هـ.
* حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي عام ١٤٠١هـ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
* عمل معلماً لمدة عامين.
* انتقل الى جهاز وزارة المعارف، وعمل في الإدارة العامة للأبحاث والمناهج.
* عمل مديراً عاماً للتعليم بمنطقة الرياض، ولمدة عشر سنوات.
* عمل وكيلاً لوزارة المعارف، ولمدة سبع سنوات حتى تقاعده المبكر عام ١٤١٩هـ.
* شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللجان، وله بعض المحاضرات والأبحاث في مجالات التربية والتعليم.
* من مؤلفاته التي صدرت:
* الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث.
* عمرو بن معديكرب الزبيدي (حياته وشعره).
* بوح الذاكرة (الجزء الأول).
* بطولة ملك (اثني عشر جزءاً).
* بوح الذاكرة (الجزء الثاني).
* مؤلفات تحت الطبع:
* إنسانية ملك (ثلاثة أجزاء).
* بوح الذاكرة (الجزء الثالث).

هذا الكتاب يحكي صوراً من الميدان التربوي حدثت، ويروي مشاهد من معاناة المسؤول وقعت، ويعرض لعدد من المواقف الاجتماعية والتعليمية.

إن الكتاب يعكس خبرة رصدها المؤلف أثناء عمله الرسمي في وزارة المعارف، ودوَّن ما هو جدير بالتسجيل، وقيّد ما هو حريٌّ بالتدوين، وجاءت ليقرأها المتأخر، فكما قيل: تجاربُ المتقدمين مَرَايا للمتأخرين كما يُبصَر فيها ما كان يُتَبصَّرُ بها فيما سيكون.

وقد جاء الكتاب في مجموعة أجزاء، هذا هو الجزء الثاني الذي اشتمل على عشرين موقفاً، مختلفة في مواضيعها، متنوعة في تواريخها، يربط بينها الحس التربوي، والقلم التعليمي.

ردمك: ٨-٥٠٨-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
١-٥٠٦-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)